
الشرق
ا . ب . يهوشواع : ازاء الغابات
جمال قعوار : كروم الدوالي
د . يهوديت روزنهويز : ميخائيل نعيمة
نعيم عرايدي : قراءات في شعر ادونيس
البروفسور ش . موريه : قصص بار موشيه
نيسان – ايار ، ١٩٧٥ ، السنة الخامسة ، العددان ١١ – ١٢

الشرق

نيسان - ايار ، ١٩٧٥
السنة الخامسة ، العددان ١١ - ١٢

مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب والفكر والفن
تصدر عن صحيفة «الانباء»

مدير التحرير والادارة : **محمود عباسي**
رئيس التحرير : **زكي درويش**
سكرتير التحرير : **انطون شماس**

الادارة : القدس ، شارع هاركما رقم ٧ (ت ٥٢٧٢٣٣)
للمراسلات : ص٠ب - ٤٢٨ ، القدس ٠
الاشتراك السنوي : ٢٠ ل٠ا٠
الثمن : ليرتان (هذا العدد : ٤ ل٠ا٠)
مطبعة «دوكمه» م٠ض ، القدس ، ت ٥٣١٩٢٩

"A-SHARQ"
THE EAST
A Monthly Magazine for Literature & Art
published by "AL ANBA"
P.O.B. 428 Jerusalem Tel 527233

„א-שרק"
המזרח
ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות
יוצא לאור ע"י עתון „אל־אנבא"
ת.ד. 428 — ירושלים טל. 527233

☆

قراءة ممتعة !

استفتـــــاح

بهذا العدد تكون «الشرق» قد اكملت عامها الخامس · والالتفات الى الوراء ، توراتيا ، فيما يبدو ، محفوف بالمخاطر · غير ان هذا لا يمنع تسجيل ملاحظة جانبية ، ربما ، وهي ان المجلة استطاعت (كما يقال في المناسبات الرسمية) ان تثبت وجودها على خلفية المنظر الادبي العربي في البلاد · لا ننكر ان اعداد المجلد الاخير جاءت مرتبكة بعض الشيء بما يختص بترادف الصدور · ولكننا نسجل لصالحنا عناد المحافظة على المستوى ، اذا استثنينا بعض التنازلات بين الفينة والاخرى ·

والاهم : شكرا للقارىء الذي رافقنا ·

[*]

في هذا العدد مقال لنعيم عرايدي (ص ٣٨) حولنا عنوانه من «اللا معقول في «شعر» ادونيس» ، الى «قراءات في شعر ادونيس» · وليس لغاية في نفس يعقوب · فغني عن القول ان جميع المواد التي تنشر في «الشرق» ، ما لم تكن مذيلة باسم هيئة التحرير ، لا تعبر من قريب او من بعيد عن المواقف التي تتخذها المجلة بالنسبة لمواضيع هذه المواد · فقد نختلف مثلا ، أو نتفق ، مع نعيم عرايدي حول كون رجاء النقاش «واحدا من احسن ناقدينا» (على سبيل المثال) ، او حول مكانة ادونيس في الشعر العربي المعاصر ، او حول «مكانته» في «الشعر» العربي المعاصر ·· الخ ·· ولكن ذلك لا يقرر نشر المقال المشار اليه او اسقاطه · فالنقطة الاساسية في الموضوع ، والتي نود ان نثيرها في هذا السياق ، هي قضية المزدوجتين في العنوان الاصلي ، حول كلمة «شعر» · ما هو الشعر ؟ وما هو «الشعر» ؟ وهل الكلمة هذه هي صفة مميزة لمجموع الاعمال التي ينشرها الشاعر ويشاء لها ان تحمل هذه الصفة ، ام انها **مصطلح تقييمي** للمستوى الفني لهذه الاعمال ؟ لا ندري ·

كل ما تحاوله هذه المجلة هو الوصول الى المعافاة الجمالية · **ولعل** ذلك واضح في طريقة التبويب ، وفي النسق الفني لترتيب المواد الطباعية، وفي اضفاء جو من النظافة على العناوين وصورة الحرف المستعمل · امور تافهة · ولكن اهميتها ، شأن اهمية جميع الامور التافهة ، ضرورية الى لا حـد ·

هذا بالنسبة لموضوع المزدوجتين ·

أ.ب. يهوشواع

ازاء الغابات

خمسة فصول مختارة

ترجمة : انطون شماس

(١)

الشتاء الاخير ايضا في الضباب ضاع · كعادته ، لم يفعل شيئا · الامتحانات اجلها ، والوظائف طبعا لم تكتب · اجل ، أتى على سماع كل شيء منذ زمن طويل ، يعني سماع كل المحاضرات · سلسلة من التوقيعات في دفتره البالي الصغير تؤكد انهم جميعا قد ادوا واجبهم نحوه ثم غابوا في الصمت · والان وضع الامر بين يديه الواهنتين · بيد ان الكلمات تنزل عليه تعبا ، حتى كلماته هو ، فما بالك بكلمات الاخرين · انه دوار في العالم الذى حوله من دار الى اخرى ، دون جذور او معاش ثابت · ولولا قليل من الدروس الخصوصية للمتخلفين لكان الان قد مات جوعا · ها هو يقترب من الثلاثين وثمة صلعة براقة في قمة رأسه الذابلة · بصره الضعيف يسربل اشياء كثيرة بالشك · احلامه الليلية مملة · دونما تغيير ، دونما حوادث · مفازة صفراء ، وفي الليالي الخيرة تنبت فيها عدة اشجار يابسة ، وامرأة عارية · في الحفلات الصاخبة التي يقيمها الطلاب ، قد اصبحوا ينظرون اليه بشيء من التهكم · سكره السريع في البرنامج الثابت · فليس هناك من سهرة تفوته · ما زالوا في حاجة اليه · شخصيته الواهنة شعبية الى حد بعيد · ومن مثله يستطيع ان يؤلف الصلات بين الناس · اصدقاؤه الذين درسوا معه انهوا ما عليهم من زمن ، وها هم يسيرون كل صباح بحقائبهم الثقيلة · وحين عودتهم من العمل ساعة الظهيرة ، يحدث ان يلتقوه في الشارع وعيناه مشقوقتان من جوف النوم · فراشة ليلية رمادية تبحث عن وجبتها الاولى · ومن ثم يبادرون وقد سمعوا عن عيشه على عواهنه ، الى التضييق عليه في زاوية معتادة ، مقررين بالاجماع ، بين الشفقة والغضب : «الوحدة !» ·

انه يحتاج الى الوحدة · فهو لا يفتقر الى الموهبة ، وليس عديم المقدرة على الفهم · كل ما هنالك ان عليه ان يقوي ارادته ·

ودأبه ان يرخي يديه كانما بيأس عليه سيماء القداسة ، ثم يلتصق بأول حائط يصادفه ، ويلقي ساقا فوق ساق بحركة واهنة ويدافع عن نفسه هامسا :

«ولكن أين ؟ هيا أخبروني ، بالعكس ، أين ؟»

ها هو بنفسه ينشد الوحدة · واضح أن عليه القيام ثانية بالتعارف والكلمات ، يحاول التركز وسط تعب المادة المسلط عليه · ولكن عليه أن يلج سجنا حقيقيا ، دونما أخذ ورد· انه أدرى بنفسه (ابتسامة مريضة) : ما ان يعثر على جحر صغير يمكن اللجوء اليه حتى يصنع منه نفقا · كلا ، رجاء ، بلا حسنات · اما هذا ـ واما ذاك ·

ثمة من يكتفون بالاعتذار السخيف ، ويهزون اكتافهم بتسليم ثم يواصلون المسير · غير ان صديقيه الحقيقيين ، هذين اللذين يحب زوجتيهما ايضا ، محاضرين مبتدئين يذكران له زهرة شبابه ، هذين اللذين يحفظان رأيين او ثلاثة ، جدية ومذهلة اسمعها عفوا في اثناء فترة دراسته ـ صديقيه اللذين يهمهما امر مستقبله ـ يعرفان جيدا ان خطر الربيع القادم عليه سوف يكون مضاعفا وان علاقاته المشبوهة بالنساء ستزداد حدة تحت وطأة السماء الزرقاء · لا عجب اذن ان يمسكا به ذات يوم في الشارع وقد ابرقت اعينهم : «وهكذا يا سيدي فقد عثرنا في النهاية على حل لمشكلة سيادته» · ويسارع هو في اظهار تحمسه واستعداده ، رغم انه يبقى بقوة حيلته خط رجعة واسع للتراجع والهروب ·

«ماذا ؟»

وظيفة رقيب على الغابات · رقيب على النار · أجل ،

فذلك امر جديد · عمل سهل ، حلم تشتهيه · وحدة مطلقة ، عميقة ، هناك سيمكنه جمع شظايا كيانـــه المتحطم ·

من اين اتيا بهذه الفكرة ؟

نعم ، من الجرائد ، من تصفح عابر للجرائد اليومية ·

يذهل ، ينفجر بضحكة عالية ، تكاد تكون هستيرية · اي رقيب واي غابات ! اي فكرة هي هذه ؟ عمـــــا يتحدثـــان ؟

لكنهما لا يبتسمان · انهما مصران هذه المرة · لا يكاد يفقه ما قالاه له حتى يمحوان خط الرجعة الذي فكر في استعماله للهروب ، كعادته ·

«قلت اما هذا ــ واما ذاك · فهاك الحل» ·

يلقي نظرة على ساعته متظاهرا بالاسراع ، ولكن الن تنطلق بداخله ولو شرارة واحدة ؟ فها هو بنفسه قد سئم ذاته ·

(٤)

وحيدا يجرجر نفسه صاعدا التلة ، حاملا الحقيبتين في يديه · ينكشف امامه العالم رويدا رويدا · بـــاب المدخل مفتوح وهو يلج الى الطابق الاول · غبش يسربل المكان ، حاجيات منثورة على الارض ، بقايا طعام ، اثــار طفلة · يتفاقم يأسه · يضع الحقيبتين ، ويصعد شارد الذهن نحو الطابق الثاني · منظر رائع يصيبه بالذهول· خمس تلال تكسوها غابة صنوبر خضراء ملتفة · افق مشرب بالزرقة وبحر بعيد · في الحال تستيقظ مشاعره، وحماسته ، وينسى كل شيء · حتى انه مستعد ان يغير رأيه في قسم التحريش ·

هاتف ومنظار وقائمة تعليمات · طاولة كبيرة بقربها كرسي ذو مرفقين · يجلس مسترخيا ويقرأ التعليمات خمس مرات على التوالي ، من اولها الى اخرها · ثم يخرج قلمه في النهاية ويدخل بعض التعديلات على الاسلوب · بمودة ينظر نحو الجهاز الاسود ، ويتيه فخرا · ماذا لو اتصل باحد اصدقائه في المدينة ، او قال بعض كلمـات الوداد لواحدة من عشيقاته المكتهلات· يخبرهم انه وصل بسلام ، او ربما يصف المنظر · ولا مرة كان تحت تصرفه هاتف عمومي · يرفع السماعة ويلصقها باذنـــه · غرغرة لا نهائية · وسائل الاتصال غريبة عنه · يحاول ان يدير القرص · عبثا · الغرغرة لا تتغير · وفي النهاية يدير رقم الصفر ، كمواطن مخلص ينشد جوابا مهذبا يليق بالمواطنين ·

يقطع الجهاز صمته ·

الاطفائيون يردون عليه بـ«ماذا جرى؟» مذعورة · قلق حقيقي في الطرف الثاني (اين ذلك بحق الجحيم ؟) · لا يكاد يتفوه بكلمة واحدة حتى يمطرونه بالاسئلة · ما هي درجة امتداد النار ؟ ما هو اتجاه الريح ؟ ســوف يخرجون للطريق حالا · والى ان يتمتم بكلماته يكون قد ادير في الطرف الاخر محرك احدى السيارات · يعتريه الذعر ، يقفز من مكانه ، وقد تشبث بالسماعة بيـــده يكسوه عرق بارد · ببقايا الكلمات بين شفتيه يشرح كل شيء · لا شيء هناك · لا توجد اية حرائق، لا يوجد اي شيء · تعارف فقط · فهو قد وصل للتو · اراد ان يتصل بالمدينة · اسمه كذا وكذا · هذا هو كل ما في الامر · صمت في الطرف الاخر · يتغير الصوت · في هذه المرة كما يبدو يتكلم المأمور · تشرفنا يا سيدي ، ها قد سجلنا اسمك · هل قرأت كل التعليمات ؟ لا توجد اي امكانية للاتصالات الشخصية · ففي نهاية الامر لم تصل الا قبيل قليل · اهناك ضرورة خاصة ؟ زوجتك؟ اولادك؟

كلا ، ليست له عائلة ·

اذن ، علام هذا الذعر ؟ الوحدة ؟ سوف يتعودوها · رجاء في المستقبل عدم الازعاج · مع السلامة · يأملون ، ها ــ ها ، ليس الى اللقاء ·

اغلقت الدائرة حوله قليلا · وردي هو الافق · وهو مرهق وجائع · قام هذا الصباح باكرا ، وهو شيء لم يتعوده من قبل بتاتا · هذه النظرة العالية المسلطنـــة

تبعث في رأسه الدوار . لا حاجة للقـــول ـ الصمت . يرفع المنظار بيد مترفقة ويدنيه من عينيه . يقترب العالم نحوه غير واضح المعالم . صنوبرات منتصبة تقفز امامه. يرجه الغابة والتلال وأفق البحر الى جوف عينيه ، يلهو قليلا ، ثم يضع المنظار جانبا ويسترخي على الكرسي . لديه الان فكرة واضحة عن عمله الجديد . مراقبة فقط. يغلف قلبه تنفس الصعداء . يغرق في التهويم ، الم يكن في النوم .

يستيقظ فجأة ـ وقد التهبت نظاراته بالضوء الاحمر . مشتت الذهن ، مذعورا ، واهن الاحساسات . يخيل اليه ان النار قد نشبت في الغابة وفاتته ملاحظتها . يهب ناهضا من كرسيه وقلبه يقرع بشدة ، يمسك بالهاتف والمنظار ، الى ان يكتشف ان ذلك ليس الا الشمس ، الا الشمس الغاربة بين الاشجار . الغرب امامه . انه يعلم ذلك الان . وئيدا يرمي بنفسه فوق كرسيه . يضطرب قلبه بشيء كالخوف ، كالفراغ . يخيل اليه انه مهجور هنا ، منسي . الضباب يغبش نظاراته فيخلعها ويمسحها . حين يرخي الليل سدوله يسمع وقع خطوات .

(٥)

عربي وطفلة يقتربان من البيت . يسارع في القيام عن كرسيه ، فيلاحظانه . ويتوقفان بانظار مرفوعة اليه ـ دهشان من منظره الرقيق الجامعي . يخفض رأسه . يواصلان سيرهما وقد اصبحت خطواتهما فجأة مترددة. ينزل نحوهما .

يتضح ان العربي عجوز اخرس . قطعوا لسانه في الحرب . هم او نحن ، ما اهمية ذلك ؟ من يعلم ما هي الكلمات الاخيرة التي توقفت في حلقه ؟ في الغرفة المعتمة التي اشتعلت نوافذها بضوء اخير ، يشد الرقيب على اليد الضخمة وينحني لملاطفة الطفلة التي ارتدت الى الوراء بوجل . دائرة الوحدة تحيطه تماما . يشعل العربي الضوء . الرقيب ينام في الطابق الاعلى .

يمر المساء الاول والحزن يطحنه . ضوء المصابيح الكهربائية الضعيف والضارب للصفرة يثير الكآبة . العزاء يأتيه في هذه الاثناء من الطبيعة المبسوطة امامه ومن زرقة البحر البعيد الذى تغرغر الشمس في داخله . يجلس منكمشا على كرسيه وينظر نحو الغابة الكبيرة التي منحت لناظريه . يعتقد ان النار ستندلع في اى لحظة . يصعد العربي وجبته اليه بعد تأخير طويل . مذاق غريب ، خليط من المذاقات المختلفة . لكنه يبتلع كل شيء دون ان يبقي على اي اثر . تطوف عيناه بنهم بين الصحن والتفاف الاشجار . وفجأة في اثناء المضغ ، تظهر له اضواء بعض المستوطنات . تشغل النساء تفكيره لبرهة قصيرة ثم يخلع ثيابه ويفتح الحقيبة التي لا تحتوي على الكتب ويخرج حاجياته . يخيل اليه ان اياما كثيرة قد انقضت منذ ان ترك المدينة . يلتف بعدة حرامات وقد ادار وجهه نحو الغابات . تداعبه نسمة باردة . اى نوم سيأتيه هنا ؟ يصعد العربي اليه كوبا من القهوة لمساعدته على اليقظة . كان الرقيب يود ان يتحدث اليه عن شيء ما ، قد يكون عن الطبيعة ، او لعله عن قلة الضوء . لا تزال بين شفتيه بعض الكلمات من المدينة سوى ان العربي لا يفهم العبرية . يبتسم الرقيب مرهقا شاكرا . شيء ما في صلعته ، في التماع نظاراته ، يبعث الفزع في نفس العربي .

التاسعة والنصف ـ بداية الليل . جوقات من صرار الليل تتعالى اصواتها بالغناء . يقاوم النوم الذى اخذ يلفه . تغمض عيناه فيؤنبه قلبه . المنظار معلق على عنقه وهو يرفعه بين الفينة والاخرى ويدنيه من عينيه اللتين طمسهما النوم . وحين يصطدم الزجاج بالزجاج يفتح اجفانه واذا هو في جوف الغابة ، وسط حفيف الصنوبر يبحث عن موضع النار . ظلام .

كم من الوقت يستغرق احتراق الغابة ؟ ماذا لو نظر مرة كل ساعة او ساعتين . حتى ولو كانت الغابة قد بدأت تحترق فانه سوف يتمكن من طلب النجدة لتنجيه البقية . الهمهمات في الطابق الاول قد غاضت . العربي وطفلته قد اخذهما النوم . وهو هنا من فوقهما مبلبل ومرهق من السفر ، بين ثلاثة جدران وفتحة تؤدي حتى افق البحر . لا يسمح له ان يتقلب فوق فراشه . يهوم طوال الوقت يغمره الخوف من اندلاع النار في الخفاء دون ان يلاحظها . في منتصف الليل يغادر الفراش الى

الكرسي • راسه ملقى على الطاولة ، وعنقه يؤلمه، يستغيث بالنوم ، يندم ، وحيدا ازاء المملكة الحالكة اللاغطة التي امام ناظريه • هكذا تمضي الساعات السوداء في الليلة الاولى ، الى ان يلمح بطرف عينيه كيف ينبت الصباح بين التلال •

بسبب الارهاق فقط لم يهرب بعد الليلة الاولى • الايام والليالي التالية تتغير امامه كما على شاشة بيضاء من البخار الابيض المشوب بالاحلام والتي يضيئها كل يوم الشعاع الملتهب الذى للشمس الغاربة • ليس هو بل شخص غريب هو الذى كان يطوف في تلك الايام الاولى تائها بين الطابق الاول والثاني والمنظار مدلى فوق صدره ، يمضغ شاردا الوجبات التي كان العربي اللامنظور يتركها له • المسؤولية الجسيمة التي وقعت عليه فجأة تثير دهشته ، واشق ما هنالك – الصمت • حتى مع نفسه لا يستطيع ان يتبادل غير كلمات قليلة • هل سيكون في امكانه ان يفتح اى كتاب هنا ؟ لم يكن قد شبع بعد من الطبيعة الخلابة التي تبعث النشوة في جوانحه • بعد عشرة ايام من العذاب يثوب الى نفسه • نظرة خاطفة تكفي للاحاطة بالتلال الخمس جميعا • اصبح في امكانه ان ينام مفتوح العينين • وهذه هي موهبة جديدة ، وحتى مثيرة للاهتمام •

(١٢)

ايام غريبة تمر عليه • واذا قلنا ان الخريف قد اتى فاننا لم نقل شيئا • التساقط كانما تشتد حدته والشمس يعتريها الوهن ، غيمات اولى ثابتة تدخل الصورة ، وريح وئيدة جديدة • ذهنه اخذ بالتشتت ويتلاعب به الجنون • الاحتفالات تمت • ورجع المتبرعون الى موتهم والمتنزهون الى اعمالهم والطلاب الى دروسهم • كتبه هو موضوعة بعضها فوق بعض وعليها ذرات غبار براقة • وهو يهمل واجبه • ترك كرسيه ، طاولته ، منظاره الامين – وبدأ يتجول دون توقف في الغابة ليل نهار • حاملا في يده غصنا مكسورا يسير ضاربا به على

الجذوع الغضة ، كانه يضع العلامات على الاشياء• وفجأة يتهاوى ويضع رأسه على احد الشواهد اللامعة ، يخلع نظاراته وتدور عيناه باحثة ، ببصرها الضعيف من خلال قمم الاشجار ، في السماء الرمادية وفجأة ، كانما يبكي• تخيلات عكره • ثم ينكفىء مرتدا ويقفز من مكانه ويتوه داخل الغابة الملتفة ، بين الاشواك والصخور • في ضباب وعيه علقت فكرة هي انه مدعو دائما الى مقابلة في طرف الغابة ، في ناحيتها الاخرى • ولكن ، عندما ينجو من الغابة ويصل نهايتها ، في المساء او في الظهيرة ، او في لحظة انبثاق الفجر – فانه لا يرى غير مفازة صفراء ، غير سهل غريب ، كانه في حلم لعين • وهو يتوقف هناك برهة طويلة امام الصمت الفارغ ، الخالي من الاشجار ، ويشعر ان اللقاء يتم ، وحتى انه يتم بنجاح رغم انه بلا كلمات • ها قد مر الربيع باكمله والصيف بطوله وهو داخل عدم النوم الفعلي فلا عجب ان تكون الايام الاخيرة شبيهة بحلم اليقظة •

النار يئس منها تماما • فهذه الغابة ليست للنار سلطنة عليها • لذلك فهو يسمح لنفسه ان يكون بين الاشجار وليس ازاءها • ولكي يرضي ضميره فانه يجلس الطفلة في مكانه • كلمة «النار» تعلمتها خلال دقيقة واحدة • كم نمت في اثناء مكوثه هنا • فهي الان مهرة اصيلة ذات عينين فتانتين • اعضاؤها نضجت على حين غرة ، وقذارتها انقلبت الى رائحة امرأة • في الايام الاولى كان ابوها العجوز يضطر الى تقييدها على الكرسي لئلا تهرب من فرط فرحها وانفتها • اجل ، فالعربي العجوز قد اصبح معلقا جدا بالرقيب الذى اخذ يهمل وظيفته • فهو يتبعه اني ذهب • ومنذ تلك الليلة التي دارا بها حول النار الصغيرة اصيب العربي هو ايضا بوهن الخريف – فقد ترك معوله الدائم • الاعشاب اخذة بالاصفرار بين اقدامه ، والاشواك تتكاثر • يضطجع الرقيب على الاوراق ومن خلال الاغصان يرى الوجه المعتم المنغرزة عيناه في وجهه وهو في الغالب يتعامى عن العربي ويضجع ووجهه نحو السماء • ولكنه احيانا يناديه فياتي هذا ويركع بقربه • في عينيه المثقلتين يتراقص الهلع والامل ويجوز انه هو ايضا لن يستطيع ان يعبر عن اى شيء ، وسيبقى كل شيء في الظلام •

لذلك فان الرقيب يتكلم اليه بصوته الهادىء العادى، بنبرة تعليمية واضحة • يحدثه عن الحروب الصليبية فيحني العربي راسه متنصتا للكلمات الصعبة الغريبة كانه يتنصت الى لحن ما • يحدثه عن الحماس والقسوة

وعن اليهود الذين انتحروا ، عن حرب صليبية للاولاد ، الاشياء التي استوعبها وهو يتصفح كتبه ، نظرياته هو التي تفتقر الى الاثبات • صوته يطفح لطفا وخيـــالا • العربي يصغي باهتمام وتوتر عميق ويمتلئ بالكراهية • وحينما يعودان ساعة الاصيل وقد غمرهما شعاع خريفي ناعم ، يقود الرقيب العربي الى كوخ مسكنه المحـــاط بالاشجار ويتوقف برهة • وهنا يشرح العربي شيئا ما بحركات سريعة ومبلبلة من يديه ، يهمهم بلسانه المقطوع ويهز برأسه ـ يريد أن يقول ان ها هنا بيته وان قرية كذلك كانت هنا لكنهم غطوا كل شيء هكذا ، دفنوه في الغابة الكبيرة •

ينظر الرقيب الى مسرحية الحركات هذه فيطفح قلبه سرورا • ما الذي يهيج العربي بهذه الصورة ؟يظهر ان نساءه ايضا قد قتلن هنا • والمسألة تبدو غامضة •يتابع اقترابه وئيدا متظاهرا بعدم الفهم • هل كان ثمة قرية هنا ؟ وهو لا يرى سوى الاشجار •

العربي من الان فصاعدا لا يفارقه • يجلسون ثلاثتهم ـ كعائلة واحدة ـ في العلية • الرقيب مستلقيا عـــلى الفراش ، والطفلة مقيدة الى الكرسي والعربي مقرفصا على الارض ينتظرون النار التي لا تأتي • الغابات مظلمة مهيبة • عالم ينمو ببطء • هذه هي ايامه الاخيرة • اتفاقيته توشك على الانتهاء • وبين الحين والاخر يقوم ويقذف باحد كتبه داخل الحقيبة ثانية ، فيفزع العربي العجوز •

الليالي تطول • خليط من الرذاذ والرياح الخمسينية • الريح تعد اندلاعها في الخفاء • بروق هادئة في الافق • اليوم الاخيريقترب• غدا سوف يرحل من هنا • واجبه قد نفذه بامانة • ما ذنبه في ان الحرائق لم تندلع • الكتب جميعها محزمة في الحقيبة وعلى الارض تتبعثـــر بقايا الاوراق • يوم كامل قد مضى على اختفاء العربي • الطفلة مسكينة • ترفع بين الحين والاخر صوتها بنواح عتيق دقيق • يبدأ القلق يعتري الرقيب • وعند الظهيرة يبرز العربي فجأة ، فتنط الطفلة في اتجاهه لكنه لا يعيرها التفاتا بل يتوجه نحو الرقيب الذي سيتـــرك وظيفته ويأخذه قسرا بيديه القويتين ، كما هو ، واهنا طيعا ومصابا بالزكام قليلا • يوقفه على حافة برج المراقبة ويشرح كل ما يمكن شرحه باللسان غير الموجود • مـن الممكن انه يود قذف الرقيب الذي سيترك وظيفته مـن علو الطابقين الى جوف الغابة • يظن انه هو فقط في امكانه ان يفهمه • عيناه ملتهبتان • لكن الرقيب مطمئن متنكر ، يظلل براحته فوق عينيه ، يهز كتفيه ، ويلقي ببسمة لا تعبر عن شيء • ماذا بقي له في فاقته •

يلفان الثياب ويلقيان بها في الحقيبة الثانية •

في المساء اختفى العربي • فذهبت الطفلة للبحث عنه لكنها عادت بخفي حنين • تمر الساعات بنعومة • قطرة واحدة من المطر • يعد الرقيب طعام العشاء ويقـــدم للطفلة ، لكنها ليس في استطاعتها استساغة اي شيء • كحيوان صغير تعدو ثانية نحو الغابة للبحث عن ابيها، ثم تطفق عائدة يائسة لوحدها • قبيل منتصف الليـل فقط تنام ، فيخلع عنها ثيابها ويحمل جسدها الغث الى الفراش ، ويغطيها بالحرام الرث • اى امرأة وحيدة في عزلتها سوف تؤول اليها ذات يوم ـ يتعجب في نفسه • شيء ما يسيل منسابا بين اصابعه ، كانما رحمة هائلة• يتريث قليلا ، ثم يصعد عائدا الى برج المراقبة • مهوما يجلس على كرسيه • غدا اين سيكرن؟ ماذا لو ودع رجال الاطفائية ؟ يرفع سماعة الهاتف • صمت • الخـــط مقطوع • لا غرغرة ولا كركرة • السكون المقدس تسلل ايضا الى الاسلاك •

يبتسم في نفسه راضيا • في الغابة المظلمة المنبسطة امام ناظريه يتحرك العربي كالساطور الصامت • ينظر الى العالم كما ينظر الى مسرحية هامة قبيل رفع الستار • تاثر بسيط ، وكبوة في الكراسي • مسرح منتصـــف الليل •

وفجاة ، مرة واحدة ـ النار • نار غير متوقعة من احدى النواحي • لهيب متطاول بكبرياء • شجرة واحدة تحترق • شجرة متلفعة بصلواتها • لفترة طويلة تنتصب شجرة واحدة في يوم حسابها وتجود بانفاسها • وهـــو يرقع السماعة • اجل ، الخط مقطوع • في صباح الغد سوف يغادر هذا المكان •

وحدة لهيب متفرد في غابة شاسعة الارجاء • وهو قد بدأ يخشى ان تكون الاوراق المتساقطة مبللة والاشواك قليلة ، فتنتهي المسرحية بلهيب واحد • اجفانه تلتصق• افيهذه الساعة الرائعة يصل نعاسه الى ذروته • يقوم عن مقعده ويأخذ بالسير ذهابا وايابا بعصبية ، في انحاء الغرفة المفتوحة امام الريح ، كي يزيل عنه التعب • ولا تكاد تمر برهة قصيرة حتى تعلو شفتيه إبتسامة •ويبدأ

في عد السنة النيران · من الجهات الاربع يمضي العربي في اشعال الغابة ، ثم يتناول مشعلا ويمر كالروح الشرير مرسلا النار الى ما تبقى من الشجر · الجدية التي يمارس بها عمله تبعث الدهشة في نفس الرقيب · ينزل الى حيث الطفلة · يجدها نائمة · يصعد ثانية الى برج المراقبة فاذا الغابة باسرها مشتعلة · ينبغي عليه ان يسارع في التبليغ ، ان يطلب النجدة · لكن حركاته بطيئة · رصاص صب في اطرافه · ينزل ثانية الى الطابق الاسفل ، يحكم تغطية الطفلة ويزيح خصلة شعر عن عينيها ، ثم يصعد الى فوق فتستقبله هبة من الهواء الساخن · نور عظيم امام ناظريه · خمس تلال قد شبت النيران فيها جميعا · والسنة النار تطاول قمم الاشجار كأنما بمس من الجنون زاعقة نحو السماء المضاءة · الصنوبر يتشقق فرحا ثم ينهار · تأثر عميق يهيجه ·انه سعيد· اين العربي الان· ان العربي يتكلم اليه الان بالنار ، في وده ان يقول له كل شيء ، مرة واحدة · هل في امكانه ان يفهم ؟

وفجاة يشعر ان ثمة شخص اخر في الغرفة · يلتفت فيرى الطفلة المستيقظة ، نصف عارية مبحلقة في النار التي تتلألأ على وجهها · وهو يبتسم وهي تبكي ·

حرارة فظيعة تنبعث من الغابة الملتهبة على مهل · التأثر الاولي قد عبر · النار تتحول من رؤيا الى واقع · السنة نارية تتجمع من جميع انحاء السماء لزيارة برج المراقبة فعليه اذن ان يأخذ حقيبتيه وينسحب خفية · لكنه لا يأخذ معه سوى الطفلة · اضواء المستوطنات في المنطقة شحبت واصبحت عادية · انهم يظنون هناك بلا شك ان مكافحة اللهيب هنا تجري منذ فترة طويلة · من الذي سيجول في خاطره انهم لا يزالون هنا ينمون النار ويتأملونها ؟ وستمر ساعات قبل ان يوقظ الحراس النائمين فان الليالي قد غدت باردة وليس ثمة من يميل الى الخروج من تحت لحافه · ينزل الى تحت ويتناول راحة الطفلة المرتعشة بقوة ويبدأ في الانسحاب ·الطريق مضاءة الى مدى بعيد · النار خلفه وامامه يشرق قمر جنوني احمر ملتهب ، مبحرا في السماء كأنه يود هو ايضا ان يرى النيران · تتثاقل حواسه ، والطريق طويلة · يشحشطان كلاهما مغمورين بين النور والظلام· الاشجار على الجانبين تحف بانتظار منفعل · اشاعة مخيفة مرت بينها ·

لاح برج المراقبة من بعيد وقد اضيء باكمله · الارض تتحرر من قيودها · بعد وقت طويل وسير كثير تقل الاشجار من حولهما، تصفر ، تختفي · انه قد وصل الى السهل الاصفر العاري ، الى حلمه · ها هي بعض اشجار الجفاف المشوهة ، اشجار الصحراء الغريبة المالحة · اشجار نبتت محروقة وليست للنار سلطنة عليها ·

يجلس الطفلة الحافية على الارض ويتهاوى بقربها · ينبثق تعبه من جوفه ويغطيهما · بعينين ناعستين يرى اخيرا سيارات الاطفائيين البراقة التي استنفرها شخص اخر · هم يعلمون ايضا ان الاوان قد فات · يأتي العربي في حلم ــ اشعث ، مرهقا ، مشحبرا ، مطموس الوجه ــ يأخذ الطفلة ويختفي · وهو ينام · ينام بحق ·

(١٣)

مع الفجر الطالع ، قطنيا بخاريا ، يبرز من بين الصخور ، ويمسح زجاجتي نظاراته السميكتين ، فاذاهو ثانية جامعي صغير امامه مستقبل معين · خمس تلال عارية دخناء تصعد دخانا خفيفا ضاربا للزرقة · وبرج مراقبة الغابات ينتصب فوق الطبيعة العارية كعفريت اسود ضخم يرسل من شبابيكه البيضاء بسمة ساخرة· للحظة يخيل ان الغابة لم تحترق قط بل ان اشجارها غادرتها في مسيرة نحو سفرة بعيدة ، نحو البحر مثلا، الذي غدا فجاة صافيا رقراقا · في الجو لمسة برد خفيفة· يصلح من هندامه الاشعث ، يبكل الزر الوحيد الباقي، يفرك يديه ليبعث فيهما الدفء ثم يسير بين اخشاب فحماء بخفة صامتة تعكس صلعته اشعة الشمس الاولى · ثمة حزن في هذا العري الفجائي ، حزن حروب خاسرة ، حزن دماء ذهبت هدرا ·سحب رصينة خرساء تسير في سماء باردة · الوسمي اصبح وشيكا · اصوات تتعالى من كل صوب · خراب كامل · شحار · قطع اخشاب مبعثرة ولا زالت تنزف جمرا ، وبقايا اغصان حية لم تكن النار

من نصيبها • حيثما تقع خطوته تتطاير الاف الشرارات• لافتات المتبرعين فقط بقيت على حالها ، وليس ذلك فقط بل انها ازدادت لمعانا بعد عماد النار الاول • ها هـــم مضجعون معا توشحهم الشمس بالذهب • لويـــــس وبريمنغتون من شيكاغو • ملك بوروندي برفقة ابـــناء شعبه •

يصعد في البناية المحترقة متسلقا الدرجات المحماة • كل شيء لازال ملتهبا ، وهو يشق طريقه كانما في جهنم• يصل الى غرفته • يكتشف ان النار زارت هذا المكان ايضا في غيابه ونفثت هنا هيجان الفرح والفزع • هل نبدأ بالكتب التي اصبحت رمادا ؟ اومن الهاتف المشوه؟ او ربما من المنظار الذى تحلل الى مركباته ؟ ولكن هنا ، يا للعجب ، بقيت خارطة المنطقة التي رسمها ، والـــنار نالت زواياها فقط ، وقطط النار لا زالت تلحوس المخدة واللحف بفرح • يمد نظره الى التلال الخمس التي يتعالى منها الدخان ، يطبق اجفانه واذا من جوف الدخــــان والضباب ترتفع امام ناظريه القرية الصغيرة • تولد من جديد بتخطيطات اولية كما في لوحة تجريدية ، كمصير كل ماض‌مغمور• يعلو شفتيه صدى بسمة خفيفة • لكن البسمة تسارع في الاختفاء • فتحته تماما ، في المنحدر الازرق قرب اسفل البناية ، يرى المسؤول عن الغابات، يتلمس طريقه نحو الشيخوخة ، ملتفا بمعطف مطر قديم ووجهه ازرق من البرد • من اين نبت هذا الرجل هنا بهذه الفجاءة ؟

يميل العجوز برأسه الاشيب الى الوراء ويقذفه بنظرة كراهية من تحت الى فوق • وهو الموجود في الاعالي من الطبيعي ان تكون نظرته موشحة ببعض من الاستخفاف في اي حال • تمر بعض اللحظات ونظرات كل منهمـــا مغروزة في الاخر ، ثم يرسل الرقيب في النهاية نحو مديره بسمة بلهاء كأنه اكتشف انه يعرفه ، ويأخذ في هبوط الدرج • فيقترب العجوز منه بخطوات سريعة مجنونة • لوامكنه الامر لكان الان يمزقه اربا • وبعد الليل سوف يتهاوى فاقد الوعي مـــن كبتـــه للغضب والالم • بصوت مخنوق يطلب سماع القصة كلها الان • لكن ، ليس ثمة قصة في نهاية الامر • وهنا لم تنسج احداث اية قصة اطلاقا • يمكن قول جملة واحدة فقط • فجاة ظهرت النار ، رفعت سماعة الهاتف فاذا الخط مقطوع • هذا كل شيء • كان ينبغي تخليص الطفلة •

البقية لا حاجة لشرحها • اجل للرقيب ايضا عواطف تربطه بهذه الغابة • توثقت عرى العلاقة بينهما جـــدا طوال الربيع والصيف وحتى منتصف الخريف • وقد كان هذا التعلق شديدا بحيث انه لم يستطع (اذا توخينا الحقيقة للمرة الاولى) ان يستوعب سطرا واحدا كما ينبغـــي •

يشعر ان العجوز يود ان يرتمي خائر القوى عـــلى الارض ، ان يخبط راسه على صخرة صغيرة ، وان يمرط ما تبقى من شعره الابيض وهذا يصيب الرقيب السابق بالدهشة • فالغابات في نهاية الامر مؤمنة (على اي حال ــ ينبغي ان تكون مؤمنة ، حسب رأيه المتواضع العملي)• والنار ليست على حساب ميزانية القسم الذى يعمل فيه العجوز • كان يود جدا ان يستمع الان (هذا الصباح يسكب في عروقه صفاء ذهنيا مذهلا) الى احاديث عـــن حرائق حدثت في غابات اخرى • وهو مستعد ان يراهن ان تلك كانت حرائق ضئيلة جدا •

ولكن في هذه الاثناء تبرز من داخل الدخان عـــدة اشباح • رجال اطفاء وعدة افراد من الشرطة ، سمينين ويتفصدون عرقا • وسرعان ما يحاط بدائرة من الملابس الرسمية • بعضهم يتهاوى على الارض ارهاقا ومع ان النار لم تخمد بعد في جميع النواحي ، الا انهم يحملون بشارة مذهلة •

تلك كانت عملية اشعال •
اجل اشعال • فرائحة النفط تتعالى مع رائحة الندى
ذهل العجوز مصعوقا •
«اشعال» ؟ ــ يتوجه الى الرقيب •
لكن الاخير يبتسم بلطف •
وفي الحال تبدأ التحقيقات • في البداية تحقيقات رجال الاطفاء الذين يريدون كتابة ما يشبه التقرير • ياخذون الرقيب جانبا ، يخرجون اوراقا كبيرة ويستلون اقلاما انيقة لكنهم يلاقون صعوبة جمة باللغة العبرية ، صياغة وكتابة • وها هم تتخضب وجناتهم من الارتباك حتى اصول اذانهم • وهو يقدم مساعدته لهم بلطف ، مهجئا الكلمات ومركبا الجمل • وهم يشكرونه بعمق •

«ما هي اشياؤك التي قضت عليها النيران ؟» ــ يسالونه بمودة •

«آ ، اشياء طفيفة وليست بذات اهمية • احترقت بعض‌الثياب وكتب المصادر• لا يهم ••» •وحتى يذهبون يكون الصباح قد بلغ اوجه في فضاء العالم • ومن مكان ما يبرز العربي وطفلته برفقة شرطيين • اذا حاذر الا

يلتقي بالنظرات اللاهبة فانه سينام بطمأنينة في الليالي القادمة • شاويشان خشنا المظهر يقومان بين الحجارة باعداد ما يشابه غرفة التحقيق المرتجلة ، ثم يجلسانه على حجر ويقومان بالتحقيق معه بوابل من الاسئلة الدقيقة لساعات عديدة • والامر مفاجأة بالنسبة له • الاستمرار ، البطء ، النشاط ، وصفحات كاملة يتكوم بعضها فوق بعض • اطروحة بحث تكتب امام ناظريه • الشمس تعلو وسط السماء • وهو جائع عطشان • المحققان يلتهمان ساندويشات ضخمة ولكنهما لا يعرضان عليه ولو الفتات • العرق يكسو زجاجتي نظاراته • يوم خريفي غريب • ومقابل ذلك يقوم داخل البناية بالتحقيق مع العربي باللغة العربية وحركات الايدي • تسمع الاسئلة فقط •

المسؤول العجوز عن الغابات المحروقة يهرول بين تحقيق وتحقيق • يضيف اسئلة ويسجل اجوبة • المحققان يضيقان عليه ويضغطان باسئلتهما حتى الحجر، ويعودان لطرح اسئلة كانا قد طرحاها فيما قبل • الغابة المحروقة تصعد رائحة نتنة ، كانما جيفة عملاقة انتنت من حولهم • التحقيق ازداد حدة • ملل تام • ماذا رأى؟ ماذا سمع ؟ ماذا صنع ؟ يبعث الاهانة هذا التعلق بالحواس ، كانها هي لب القضية ، كانه ليس ثمة فكرة وراء كل ذلك •

قبيل الظهر يتغير المحققان ويأتي بدلهما محققان جديدان يبدآن كل شيء من اوله • العرق يتسايل من الذى تحت التحقيق • اى اهانة هي ان يحققوا معك هكذا على الارض المحروقة ، على الحجارة ، بعد ليل من السهر • يا لهذا الفراغ • يبصق ويغضب ويفقد السيطرة على اعصابه • يخلع نظاراته ، وحواسه تتبلد• يأخذ في مخالفة اجوبته السابقة • وفي الساعة الثالثة ينهار وينكسر بين ايديهم كالقلحون الغض ، مستعدا ان يعرض العربي كاتجاه نحو الحل •

واضح انهم كانوا يتوقعون هذا التلميح بالذات • فقد كان الشك موجها نحو العربي منذ وقت طويل • يكبلونه في الحال وسرعان ما ينتهي كل شيء فجأة • تدار المحركات في سيارات الشرطة ويدخلون بالعربي في احداها ، واذا بنظرته سرور واحساس بالبطولة • والطفلة تتشحشط خلفه بيأس • سحب خريفية ،حزن، تفاهة في كل شيء • وفجأة يقترب هو من المسؤول عن الغابات ويطالبه بوقاحة بايجاد حل بالنسبة للطفلة •

لكن الاخير لا يجيب • تطوف عيناه العجوزان على انحاء الغابة كانما لوداعها • هذا العجوز ايضا في طريقه للجنون ، وحواسه اخذة بالغيضان • ينظر نحو الرقيب بعينين فارغتين ، كانما ضاعت الكلمات منه ايضا ، كانه لا يفقه شيئا • والرقيب يعيد طلبه بصوت مرتفع • فيخطو العجوز في اتجاهه «ماذا ؟» يهمس بصوت واهن، متعكر العينين • وفجأة ينقض على الرقيب انقضاضا ، وينهال عليه بقبضتيه المضمومتين الدافئتين لكما• وافراد الشرطة يوقفونه بجهد • واضح ان اتهاماته موجهة الى الرقيب فقط • الى هذا الرقيب صاحب الكتب والنظارات المغبشة ، وهذه السخرية المرة الجامعية •

والشرطيون يخلصون الرقيب ويدخلونه دون تريث في احدى السيارات • وسلوكهم فظ لانهم هم ايضا قد علق بهم شيء من عدائية المسؤول عن الغابات • وهو لا يكاد يهم بوداع المكان الذى مكث به ما يقارب النصف سنة حتى يأخذون به بسرعة جنونية في اتجاه المدينة • وهناك يلقون به في احد الشوارع الجانبية • يلج المطعم الاول الذى يمرفي طريقه ويلتهم من طعامه حتى يتخم • وبعدها يسير في الشوارع المتلألئة ، بلحيته وقذارته وجلده الذى لوحته الشمس كانه مخلوق وحشي • المطر القذر الاول قد لوث الارصفة •

في الليل، في فندق منعزل ، في استطاعته ان ينام نوما فعليا ، للمرة الاولى دون وجبات • نوما بسيطا بدون ابعاد اضافية • لكنه لن ينام بل سيواصل تهويمه • غابات خضراء سوف تنبت امام عينيه المغضبتين • وربما سيلتف عليه مضيقا الحزن والحنين، وسيشعر بالاختناق لان اربعة من الجدران سوف تحيط به وليس ثلاثة •

وهكذا في يوم الغد ، وربما في باقي الايام •

الوحدة كانت ذات منفعة • ملاحظاته في الواقع قد التهمتها النيران مع جميع الكتب ، ولكن اذا كان احد يظن انه لا يذكر شيئا فانه يذكر •

ولكنه قد اصبح غريبا في مدينته التي يعرفها تماما • يخيل ان ذكره قد عفا من القلب • جيل جديد يدخل دائرة الاحداث • معارفه الهازلون يلتقونه ويربتون على كتفه ، وتتقلص شفاههم ببسمات قبيحة : «سمعنا احترقت عندك غابة» ، يقولون • وكما مر ، فهو لا يزال شابا لكن اصدقاءه الحقيقيين قد يئسوا منه تماما • يأتي لزيارتهم في ليالي الشتاء مرتعدا من البرد ـ كلبا مبللا يبحث عن النور والنار ـ فاذا بهم يقطبون ويسألون : « ها ، شو في ؟ » •

جمال قعوار

كروم الدوالي

مغناة

المشهد الاول :

المكان : ساحة في قرية .

الديكور : على الجانبين بيوت قروية بسيطة ومن الخلف صورة بيدر يدرس عليه مهر مشدود الى لوح الدراس .

الشخصيات :		
	١) سلمى	٦) الفتيات
	٢) برعوم	٧) الهبيز
	٣) الحـدا	٨) صاحب الخان
	٤) المهرج	٩) كيكي (غانية)
	٥) الشباب	١٠) رواد البار

المشهد : مجموعة من الشباب يصطفون كما يصطفون في العرس القروي (حولم) وامامهم الحدا والمحمس (المهرج) فريق الفتيات في الجهة الاخرى بينهن «سلمى» منزوية ومحزونة يصفقون (حولم) والمهرج يحمسهم ويصفق امامهم .

الحـدا :

هدى البلبل عالرمان   سمعتو بالليل يغني

الشباب : (يرددون)

هدى البلبل عالرمان   سمعتو بالليل يغني

(المهرج يشجعهم ويقوم بحركات مضحكة)

الحـدا :

هدى البلبل عالرمان   سمعتو بالليل يغني
هدى البلبل عالرمان   سمعتو بالليل يغني

(المهرج يقوم بحركات مضحكة)

الحـدا :

هالحلوى اللي في البستان   تسقي الزنبق والريحان
قلت لها اسقيني عطشان   قالت : لا تطلب مني

الشباب :

هدى البلبل عالرمان   سمعتو بالليل يغني

(المهرج يقوم بحركات مضحكة)

الفتيات :
كيف حال النبع ومياتو   كيف حكياتو
كيف الدبكة عصرية   عنغماتو
المهرج :
ومين اللي كانوا يملوا   وعم يتسلوا
ومين اللي حملوا شلوا   هو واخواتو

المزارعون :

النبع يجمع حونو   كل فنونو
ويحمل قلبو وشجونو   عجنا حاتو
النبع وريقو العطر   طعم السكر
ونجوم السما بتسهر   في مياتو
النبع ديور وزهورو   عجروح سورو
تغني للي بيزورو   في سهراتو

الفتيات :

كيف الكرم وعناقيدو   الله يزيدو

المزارعون :

للي يقطف بايدو   من عنباتو

ضل الراعي يحكي لو ويغني لو
ويسمع مواويلو لغنماتو

الفتيات :

وينو الراعي ؟

المزارعون :

الراعي اللي شاف القمر مش زي ما كان
بيقول هيك القدر والدهر خوان
راح تسمعوا الليلة خبر ما كان عالبال
بيغير احوال السمر من حال لحال

المهرج :

ان كان بالو القمر هادا القمر زعلان
مسكين • قلبو انكسر ليش وسخو الانسان
شو نعمل بظلم البشر الشر فيهم شاع
بدهم يطولو القمر تيزرعوا اطماع

الشباب :

شو هادا الحكي انتو كلكم مه دقينو
حكي عجايز مين يقبل يزينو

المزارعون :

مين اللي مصدق هيانا جينا
صبوا القهوة بالفناجينا

الشبان : اهلا وسهلا

المزارعون : بالمهلي

الحدا : يا اصحابي ويا اهلي
يالله نغني

الشبان : يالله نغني

المهرج : يالله يالله

الشبان : يالله نغني

الحدا : عالارض المزروعة رفوف
زيتون ولوز ورمان
والكرمات قطوف قطوف
سبحان الخالق سبحان

الشبان : يالله نغني

الفتيات : عالسهرة عنبع المي
سهره صبايا وشباب
والمحبة شوي شوي
تكبر ، يتهنوا الاحباب

الحدا :

يا حلوى يا قصة حب ترويها النبعة والدرب
ويتلوع فيها هالقلب ويتحمل عنها وعني

الشباب :

هدى البلبل عالرمان سمعتو بالليل يغني

(يدخل جماعة من المزارعين يحملون ادوات الزراعة يتقدمهم برهوم)

الحدا:

اهلا وسهلا بالشبان يا صدورهم عزم وايمان
كل واحد في هالمكان لرجعتكو مستني حتى نغني

الشباب :

هدى البلبل عالرمان سمعتو بالليل يغني

الفتيات : ليش تاخرتو
وين كنتو

المهرج : (بحركات مضحكة) وين كنتو

المزارعون :

كنا بالارض ولولا معزتكم ما جينا
بالطول والعرض نعطيها وبكره تعطينا

الشبـاب : **يالله تغني**

الحـــدا : **عل قصة سلمى وبرهوم**
كل يوم يروحوا مشوار
والليالي نجـوم نجوم
والسهرات اقمار اقمار

الشبـاب : **يالله تغنـي**

(يعلو صوت الموسيقى ، يرقصون، يدبكون ، والمهرج يقوم بحركات مضحكة)
(يخفض صوت الموسيقى يهدأ الراقصون قليلا تتقدم الفتيات وهن يرقصن الى «برهوم» بينما سلمى تتخلف ولا تتقدم معهن تبقى منزوية في ركن المسرح) .

الفتيـات : **يا برهوم اسمع وقوم**

الشبـاب : **يا برهـوم**

المهـرج : **(بصوت مضحك) يا برهوم**

الفتيـات : **غني لنا تسلم وتدوم**

الشبـاب : **يا برهـوم**

المهـرج : **(بلحن اخر) يا برهوم**

الفتيـات : **احنا لصوتك مشتاقين**

الشبـاب : **يا برهوم**

الفتيـات : **ولحكاياتك الحلوين**

الشبـاب : **يا برهوم**

الفتيـات : **ولسلمى ترقص وتدور**

الشبـاب : **يا برهوم**

الفتيات : **وتزغرد زي العصفور**

الشبـاب : **يا برهوم**

(سلمى المنزوية في ركن المسرح تصرخ وبغضب)

سلمى : **انا ما برقص**

الجميـع : **(بدهشة) ليش يا سلمى**

المهـرج : **بلاش انا برقص**
واللي برقص في هالايام ما برقص

الشبـاب : **اسكت اسا مش وقتك**

المهـرج : **اسا وقتي تك تك تك**
هاي الفرصة صحت لي
وانا برقص عل مهلي

(يقوم برقصات مضحكة مع موسيقى مضحكة)

الفتيـات : **يا برهان القصة جد**

المهـرج : **الدنيا ما بتستاهل جد**

الشبـاب : **لا تزودها اخد ورد**
يا برهان يابو عقاين

المهـرج : **(بغضب) لا تهينوني لهالحد .**
انا بفهم قد حمارين

الفتيـات : **طيب صدقنا انتي الفهمان**
وما حدا بفهم مثل برهان

برهـان : **لازم تعترفوا انا الحكيم**
وما في في الدنيا مثلي فهيم

الفتيـات : **ايوه اتفقنا**

المهـرج : **وما بيفرقنا**
الا الفـران **ونارو تحرقنا**

الفتيـات : **يا برهان مالو الفران**

المهـرج : **انا عاشق بنتو** **وفيها هالمال**

الفتيـات : **بنتـو مـين**

المهـرج : **ياسمين**

الفتيات : (يضحكن) ياسمين (يضحكن بسخرية)

المهرج : ايوه ياسمين ٠

الفتيات : (مقهقهات) تلبق لك والله

المهرج : وانا بلبق لا
خلوني ارقص
تني آخذ لا عقلا

الفتيات :

طيب ارقص يالله ارقص اطاع وارقص يا برهان
حرك خصرك وارفع شعرك يقصف عمرك يا برهان

الحدا : (بعتاب) اما رقصة مشهورة
وسلمى المسكينة مقهورة

سلمى :

سلمى اتركوها وقلبها المكسور
كل ما تحاكوها دمها بيفور

الشباب : ليش يا سلمى

الفتيات : شو يا سلمى

المهرج : (يمسح دموعه بحركة مضحكة) ليش ياسلمى

سلمى :

برهوم ترك شجرتنا وسافر لبعيد
وبطل يشرب خمرتنا والكاس جديد
وما عاد يذكر مرقتنا نلوح بالايد
ومن مياتها جرتنا يشرب ويزيد

الشباب :

شو هالسيرة يا برهوم
نسيت الجيرة والكروم

الفتيات :

نسيت ايامنا نسيت احلامنا نسيت الحب
نسيت انسامنا تعيد انغامنا طول الدرب

المهرج : (يبكي ويمسح دموعه بحركة مضحكة)

الدنيا بآخر وقت ما عاد فيها امان
وانا اللي مالي بخت ايام العتاب والميجنا

الحدا : (عتابا)
برهوم ما كان الامل تنسى الوعود
وتترك دف عم يبكي وعود
برهوم لا تنحرف وارجع وعود
غنوا العباد وما فرقوا بيناتنا

برهوم : (محاولا الانكار)

شو بتقولوا شو عم تحكوا
عمر بطولو وانا منكو

المهرج :

ايوه اصغوا لو اضربوا وابكوا
اللعب اصولو اسبقوا واشكوا

برهوم : (محاولا الانكار)

انا مش عارف شو اللي صار
وقلبي خايف يا ستار

المهرج :

انتي بتعرف يا غادر انتي بتعرف يا مكار
انتي بتعرف شو اللي صار

الشباب : (على دلعونه)

سلمى يا سلمى يا ام الغره
يا احلى بسمة عشفاف السهرة
ان طلت نجمة وما ضوت عمره
منطرقها كلمة ترحل من هونا

المهرج : **نرحل من هونا**

(سلمى تتنهد وتشهق بالبكاء)

المهرج :

سلمى لا تبكي	**كسرتي قلبي**
مش عارف احكي	**كلمة يا غلبي**
لو احكي تركي	**ويهديني ربي**
بتصيري ملكي	**انتي وياسمونا**

الفتيات :

يا سلمى احكي	**احكي لنا القصة**
ما لك عم تبكي	**في قلوبنا غصه**
ما بدنا دبكه	**ولا بدنا رقصة**
تتعود الضحكة	**للي يحبونا**

سلمى (موال) :

ع نهر الحب ما شادوا قناطر
وقلبي في الهوى حملوا قناطير
وبدون جناح من وهمي اناطير
حياتي كلها وهم وسراب

الشباب : **ليش يا سلمى**

الفتيات : **شو يا سلمى**

المهرج (باكيا) : **ليش يا سلمى**

سلمى (موال) :

برهوم حابب بنت لا منا ولا فينا
ووعدنا هيك تممنا ووفينا
يا ريتنا في الحب ما كنا وفينا
وما كانت بقلبنا حسره وعذاب

الشباب :

برهوم شو بتقول	**هالحكي مش معقول**

الفتيات :

برهم خبرنا	**لا تخلي الشك يطول**

المهرج :

برهوم شو بتقول	**برهوم يا مسطول**
طلعت انا اعقل منك	**عل طول عل طول**

برهوم (يا جماعة) : **انا .. انا معذور**

الجميع (بغضب) : **معذور ..**

(برهوم يضع يديه عل راسه)

برهوم : **وراسي عم بيدور**

الجميع : **بيدور ؟ ..**

برهوم : **بنات مثل النور**

الجميع : **مثل النور**

برهوم : **وخدهن بنور**

الجميع : **بنور**

المهرج : **وينهم .**
دلني عليهم

(الفتيات يمسكن مناديلهن بايديهن

والشباب يمسكون حطاتهم بايديهم ويهجمون عل برهوم بحركات

مسرحية راقصة ومعهم المهرج بحركات مضحكة يبداون بضربه) .

فتاة : **يا غدار**

شاب : **يا دوار**

فتاة : **يا خاين**

شاب : **يا جوار**

المهرج : يا مجرم يا مال النار

الشباب :

شولك عنا — اطلع منا
واغسل عنا — وصمة عار

(في هذه الاثناء برهوم يتلقى الضربات واضعا يديه على راسه يحاول الافلات يهرب يخرج)

المهرج : لجهنم •
الى جهنم وبئس المصير

الحدا :

يا حيف شوها العمل — شو هالمسا المشؤوم
ما كان هيك الامل — يا خسارة يا برهوم

الفتيات :

احنا اللي رضعنا الوفا — يوم كنا صغار
وعشنا ايا الصفا — نزغزغ الوتار

الشباب :

احنا والوعد نصونو — طول المشوار
واللي نحبو ما نخونو — لو مهما صار

الفتيات : (مع الدبكة)

هاي الارض تعلمنا — ما ننسى العهد
وان خنا ما تكامنا — تجازينا صد
هادا الوعد اللي منا — هيك كان الوعد
وما يغير الاي بدمنا — ليل ولا نهار

الشباب :

هاي الارض اللي فيا — عاشو الجدود
كرماتها ودواليها — يصونوا العهود
واحنا بروحنا نفديها — وبالغالي نجود
تتنور لياليها — باقمار واقمار

— ينتهي المشهد —

المشهد الثاني :

(منظر مقهى غربي (بار) في تل ابيب مثلا • في زاويته موسيقى جاز صاخبة • الى طاولة يجلس برهوم وفتاة شقراء متبذله • موسيقى غربية تعزف • برهوم والفتاة يتحدثان – وصاحب البار يراقبهما) •

الفتاة : شو مالك دبر حالك

انا بيتي مش لشكالك
فلاح وما عندو مال

(تقف وتهز يديها ساخرة)

باسم الله شو هالرجال

برهوم (بغضب) : بتهينيني يا كيكي
وفيكي ضيعت عمري

الفتاة : للحب الرومانتيكي
فتش على واحده غيري

(تتركه وتلوح بيديها مودعة بسخرية)

الفتاة : باي باي

(برهوم يبقى وحيدا)

برهوم : بستاهل هيكي واكثر
مين بيعمل هالعمله
تركت بلادي تركت اهلي
حتى اندم واتحسر

(ينهض ويتجه نحو الباب للخروج فيعترضه صاحب البار)

صاحب البار : وينك يا شيخ الشباب
ما بدك تدفع الحساب

برهوم : (متأففا)
شو الحساب وشو الشحار
انا عقلي من راسي طار

صاحب البار : طار مطار وانا مالي
بدي تدفع لي مالي

برهوم (ساخرا) **مالك في الجيبه والكيس**

صاحب البار (بغضب) **اسا بندهلك بوليس**

برهوم : **دخلك بوليس مين بكـون**

صاحب البار : **البوليس حامي القانون**
وان ما بدك تدفع لي
بتقضي عمرك مسجون

برهوم (متضرعا) : **فتشني ما عندي مال**
شو نعمل في هاي الحال

صاحب البار : **بشغلك عندي جرسون**
بتخدمني شهرين طوال

برهوم (بدهشة) : **جرسون ..**

يظلم المسرح ثم ينار عن نفس المشهد
طاولات البار يجلس ثلاثة الى طاولة
واثنان الى طاولة اخرى واحد الى طاولة ثالثة

احد الثلاثة : **يا جرسون هات لنا ثلاثة وسكي**

الثاني : **وثلاثة قهوة تركي**

الثالث : **وروح من هون**

(يتوجه برهوم نحو المقصف يناديه احد الجالسين على الطاولة الثانية)

احد الاثنين : **شكلك مضحك يا جرسون**

(برهوم يدير وجهه بغضب)

الثاني : **لو انك تلبس ببيـون**

(يظهر الغضب على وجه برهوم)

(يناديه الجالس ، المنفرد على الطاولة الثالثة)

الطاولة الثالثة : **يا جرسون عجل شوي**
كم مرة منطلب المي .

برهوم (بغضب) : **الف ومليون**

(صاحب البار يتدخل ليوبخ برهوم بسبب سخريته من الزبائن)

صاحب البار : **يا سافل يا ديل الكلب**
بتتمسخر عالزباين
خليك مؤدب ، وانكب
واعرف حالك شو كاين

الزبائن (ينادون بسخرية) :

جرسون

(يقهقهون)
(يظلم المسرح وينار مرة اخرى عن نفس المشهد على المسرح صاحب البار وبرهوم)

صاحب البار : **الليلة عنا بارتي**

برهوم : **شو بارتي .. شو معناها**

صاحب البار : **بارتي معناها حفلة**
من زمان بستناها

برهوم : **شو فيها**

صاحب البار : **فيها رقص وفيها شرب**
وفيها علية الناس
بتخدمهم عالراس والعين
وان قالوا لك هات لك كاس
بتسجل حساب اثنين

برهوم : **هايه سرقة مفضوحة**
لو تعفيني من هالكار

صاحب البار : **شو عم تحكي يا غشيم**
هيك البار وشغل البار

(يظلم المسرح وينار مرة اخرى عن الحفلة)

صبايا وشباب من الهيبز والبيتلز في حالة سكر شديد وفي حركات خلاعية . موسيقى جاز صاخبة لباس غير محتشم رقص روك اند رول وتشا تشا تشا

برهوم يجلس في زاوية المسرح وهو مهموم يسند جبينه بيده يشيرون اليه يستهزئون ويضحكون ويشربون)
برهوم (بحزن) :

شو هالمدينة ما في نوم بتضل سهرانه
شرب وسهر كل يوم اعصاب تعبانه

(ينظر اليه الراقصون يضحكون بسخرية يشيرون اليه يتناولون كؤوس الشراب يشربون)

احد الراقصين (للاخر)

ناولني مرتك تارقص معهـا

الاخـر :

مبروكه خدهـا اوعـى ترجعهـا

(يتناول زوجه الاخر وتعزف الموسيقى صاخبة ـ يعودون للرقص)

برهوم (مخاطبا نفسه) :

برهوم شو صار فيك مجهول بين الناس
ما في مين يرضيك حتى الحزن والكاس

(يقهقه الراقصون عاليا يشيرون اليه بسخرية يتناولون كؤوس الشراب ـ ويشربون)

احدى الرقصات (لزميلها) :

شو رايك نطلع شويه لبره وخلي هالامه تكمل السهرة

زميلهـا :

ما مبارح كنا بحضن العتمة
هو ما في غيرك تنغيـر طعمـه

(يشربون يقهقهون تعزف الموسيقى يرقصون)

برهوم :

بنات بتحبـك ما دام معاك فلوس
وبيقعدوا جنبك يا سيدي وبوس يا سيدي بوس

(شرب سخرية قهقهه رقص)

برهوم :

وبيسحبوا مالـك وينشفوا دمك
ما برحمو حالـك ولا بحملـوا همك

(شرب سخرية قهقهه رقص)

برهوم :

الاتهم حديد وقلوبهم حديد
وانتي رقم بيروح وبعدو بيجي جديد

(يقهقهون يشيرون اليه بسخرية)

احد الراقصين (لزميلته) للكاس العاشر

(يرفع كاسه لشرب نخبها) **كاسك يا حلوى**

زميلته : (تسكب الكاس على راسه الاصلع)**كاس المحبة والصلعة بتضوي**

(يقهقهون يرقصون)

برهوم :

يا شوق قلبي زيد لكرومنا الخضـرا
لو راق وعناقيـد وتـرق هالسهـره

(شرب سخرية قهقهه رقص)

برهوم :

يا شوق يا حراق اشفق على ضلوعي
لا حر قلبي راق ولا نشفت دموعي
لو يتنا الفـراق بيحرم رجوعي

(بصراخ)

يا ارضنا .. مشتاق لجبالك السمـرا
(تزداد القهقهات والسخرية يشيرون اليه يقهقهون عاليا يخرجون)

يبقى برهوم وحيدا مسندا رأسه الى راحته
كأنه نائم يحلم بقريته ويسمع اصوات اخوانه

صوت من بعيد :

يا برهوم اسمح وقوم **يا برهوم**
(بدون صوت المهرج) : **يا برهوم**
غني لنا تسلم وتدوم **يا برهوم**
احنا لصوتك مشتاقين **يا برهوم**
ولحكياتك الحلوين **يا برهوم**
ولسلمى ترقص وتدور **يا برهوم**
وتزغرد زي العصفور **يا برهوم**
انا ما برقص
ليش يا سلمى

(برهوم يهب من النوم مذعورا يقف ثم يعود ويجلس ويغني)

برهوم :

مر الهوى مره **ولون مزارعنا**
وع بساطنا السمرا **تقعد وتسمعنا**
يا ريح يا ساري **يا حامل اسراري**
لو يوم تجمعنــا

ينهض يسير ذهابا وايابا يقف

برهوم (موال)

دوالي يا اغانينا دوالي
شراب العز من خمر الدوالي
هاتوا لي من لمى الحلوى دوالي
عسى ينزاح عن قلبي العذاب

(يدخل شباب القرية وفتياتها ومعهم الحدا والمهرج وسلمى برهوم

يهرب ويختفي في زاوية المسرح ليعرف ماذا يريدون)

الحــدا :

يا ناس مالنا حق **برهوم غلط غلطـه**
يا ريت القلوب ترق **وتنحل هالورطــه**

المهـرج : **وتنحل هالورطــه**

الفتيات :

احنا قسينا كتير **برهوم بهوانا**
يا ناس قلبو كبير **ومش راح ينسانا**

المهـرج : **ابـدا ابـدا**

الشبـاب :

يا ناس شو اخبارو **شو صار لو شو صار**
لو نوصل ديارو **ونرجع معو للدار**

المهـرج :

ونرجع معو للدار **ونرجع معو للدار**

(يرقص بفرح)

ونرجع معو للدار **ونرجع معو للدار**

سلمى :

يا ريتنا نشوفو **بدروب حارتنا**
وتلـون طيوفـو **نغمات سهرتنا**
حســون ورفوفو **وغصون كرمتنــا**
تشتـاق لوقوفـو **والعين تحكي اسرار**

(يخرج برهوم من مخباه ويضم اهل قريته)

برهوم : **يا اصحابي**

الشباب : **برهوم**

برهوم : **انتو احبابي**

برهوم : **(علي دلعونه)**

انتو اصحابي انتو احبابي
وايام السعد تغني عبابي
كل ما تعذبت وطول عذابي
بقول بفكري مش راح ينسونا

المهرج : ابـدا ابـدا

الشباب :

برهوم تأكد　　احنا اخوانك
وراح نعمل سهره　　الليلة علشانك
ونفرح اهلك　　نرضي جيرانك
انتي حبيبنا　　وانتي اخـونا

(يتقدم برهوم بتهيب نحو سلمى)

المهرج :

برهوم انت حبيبنا　　انت اخونا احنا
كلنا ولاد بلدك　　بنات بلدك
بدنا اياك ترجع

برهوم : (بصوت خائف)

بلدي يا بلدي
بلدي السنابل يا بلدي
يا قصة الجداول يالون الفرح
يا ملعب عصافير يا حكاية
يا بلدي بلدي يا ذهب السنابل
يا كروم الدوالي
معمرة بقلوب مليانة
مزيني بزهور وغناني
ودروب وحكايات
برهـــوم

سلمـى :

(يركع برهوم امامها ويقول)

برهوم :

انا مذنب وذنوبي كتار
اسقيني غصة اكويني بنار
يا سلمى .. بتسامحيني
ويبقى خادمك ليل ونهار ..

سلمـى :

يا برهوم لا تعذبني
قلبي ما بحمل عذاب
لو المر تشربني
بشفافي يحل الشراب

سلمـى :

برهوم قوم

برهوم : ما بقوم
بستاهل علقم وسموم

سلمـى : برهوم قوم

برهوم : ما بقوم

(تتقدم الفتيات راقصات)

الفتيات : يا برهوم اسمح وقوم
الجميع : يا برهوم
المهرج (بلحن اخر) يا برهوم
الفتيات : غني لنا تسلم وتدوم
الجميع : يا برهوم
المهرج : يا برهوم
الفتيات : احنا لصوتك مشتاقين
الجميع : يا برهوم
الفتيات : ولحكياتك هالحلوين
الجميع : يا برهوم
الفتيات : ولسلمى ترقص وتدور
الجميع : يا برهوم
الفتيات : وتزغرد زي العصفور
الجميع : يا برهوم

(ينهض برهوم ينضم الى الشباب وتقابلهم الفتيات يدبكون)
وسلمى ترقص في الوسط

انتهـــــى

د. يهوديت روزنهويز

ميخائيل نعيمة وقصصه القصيرة

١ـ توطئة :

يعد نعيمة من الكتاب البارزين في الادب العربي الحديث ، خاصة في مجال القصة ، اذ كان بين الطلائعيين الذين أتقنوا هذا النوع الادبي في مطلع القرن الحالي (قصته «سنتها الجديدة» نشرت في ١٩١٤ لاول مرة) ، حين كان لا يزال في فترة تطوره الفكري والادبي وهو على ارض الولايات المتحدة التي كان قد وصلها ثلاثة اعوام قبل ذلك . كان نعيمة آنذاك في الخامسة والعشرين من عمره ، وقد نال قسطا وافرا من الدراسة والثقافة ، أغلبها في مضمار التعليم الروحاني ـ الديني الذي تلقاه في المدارس المختلفة ، على الاخص «السمنار الروحي» في روسيا ، وفي نفس الوقت أكب على دراسة الادب الروسي ، فتأثر بفن اشهر الكتاب كتولستوي ودوستويفسكي وغوغول والشعراء كبوشكين ولرمونتوف وغيرهم . واصل نعيمة تحصيله خلال اقامته في الولايات المتحدة في جامعة واشنطن ، حيث نال شهادة الحقوق والادب الانكليزي في آن واحد (١٩١٦) ، وهكذا اتسعت مداركه وآفاقه الادبية والثقافية فاستطاع ان يدرك عيوب ومآخذ الادب العربي في تلك الحقبة الزمنية ، فأراد ان يصلحه ويضع له أسسا متينة كتلك التي يتمتع بها الادب الروسي والادب الغربي . وبما انه أدرك اهمية الادب في نشر الآراء والافكار الاصلاحية بين افراد شعبه ومجتمعه في مواضيع مختلفة ، اجتماعية واقتصادية وسياسية ، فقد عمد الى تاليف المقالات والقصص القصيرة والى نظم القصائد . ومع تطور عالمه الروحاني خلال السنوات التي قضاها في الولايات المتحدة ، وخلال سنوات الحرب العالمية الاولى ، متأثرا بصديقه جبران خليل جبران ، تبلورت فلسفته في الحياة هذه الفلسفة التي تعتمد على ثلاثة عناصر رئيسية موحدة ، هي الله والكون والانسان . وبعد وفاة جبران قرر نعيمة العودة الى مسقط رأسه في لبنان في ١٩٣٢ . وهو لايزال قابعا فيها الى يومنا هذا ، ما عدا زيارات قصيرة قام بها الى بعض مدن لبنان وسوريا وزيارة أخرى للاتحاد السوفياتي (في ١٩٥٦) ، ولم ينقطع نعيمة طوال هذه المدة عن الكتابة ، وقد صدر له عدد من المجموعات التي تحتوي على مقالات فلسفية واصلاحية وعدد من الروايات ، وترجمتان ، وثلاث مجموعات قصصية ومسرحيتان وديوان شعري واحد .

ستقتصر دراستي هذه على قصص نعيمة القصيرة التي تحتل مكان الصدارة في انتاجه الادبي ، ولا تقل اهمية ، رغم اختلافها بمدى تأثيرها عن مقالاته العلمانية والفلسفية ورواياته المشهورة ، على نفوس القراء .

٢ـ ميزات القصة القصيرة :

كان فن القصة جزءا لا يتجزأ من حضارة الانسان منذ ان عرف هذا الفن . وقد اختلفت وسائله واشكاله على اختلاف البيئات والازمان والضرورات الادبية . أما الادب العربي فقد عرف اشكالا مختلفة للقصة تميزت بأسمائها كذلك ، مثل القصة والسيرة والرواية والحكاية والخرافة والحديث والخبر والنادرة والمثل والمقامة والاقصوصة[١] . الا انه يجب ان نذكر انه في الادب الغربي الذى اخذ يتطور بسرعة في القرن التاسع عشر تبلور نوع جديد من الادب ، هو ما نسميه بالقصة «او الاقصوصة» ، وكان اصله في روسيا (نيكولاي غوغول ، ١٨٠٩ ـ ١٨٥٢) وفي الولايات المتحدة (أدغار ألان بو . ١٨٠٩ ـ ١٨٤٠) وفي فرنسا (غي دي موباسان . في فترة متأخرة عنهما بقليل) ثم انتشر هذا الفن الجديد في سائر الاداب الاوروبية . أما الادب العربي فقد تأثر اكثر ما تأثر بأدب موباسان ، بسبب التأثير العظيم الذي كان لفرنسا في الشرق الاوسط وفي مصر خاصة ، منذ بداية القرن التاسع عشر . فصارت

(١) راجع كتاب عبد العزيز عبد المجيد ، ص ١١ ـ ٢٧ .

الجرائد والمجلات الاسبوعية تنشر القصص المترجمة والاصيلة ، منذ اكثر من نصف قرن ، في الدول العربية واكثرها في مصر [٢] .

اما المميزات الرئيسية للقصة (كما يوردها عبد العزيز عبد المجيد عن كتاب ل.أ. سترونغ) [٣] . فانها تتلخص بما يلي :

١ـ وحدة الموضوع ، اي عدم التبسط في الاوصاف والحوادث التي لا علاقة مباشرة لها بتطوير الحبكة الرئيسية للقصة .

٢ـ اكتمال التأثير ، وتبلور الجمال الفني .

٣ـ عرض متوازن لاجزاء القصة المختلفة .

٤ـ توقيت مدقق بالنسبة لادخال كل حديث وحادثة في القصة ، ولا ينبغي للقصة ان تكون دائما مضبوطة من حيث تسلسل وقوع الحوادث فيها ، ولكن يترتب على كل جزء وطور جديد فيها ان يأتي في حينه بحيث يترك الاثر الذي يقصده المؤلف .

نجد في القصة ثلاثة عناصر اساسية :

١ـ الابطال الذين يرتبط مصيرهم بعضهم ببعض في القصة الى مدى معين .

٢ـ الحوادث الخارجية وهي التي تصل غالبا بين الابطال وبين علاقاتهم النفسية الباطنية .

٣ـ الحبكة التي تجمع بين الابطال والحوادث بحيث انها تظهر معقولة وحتى ضرورية ، اي انها تمثل الجانب الفلسفي العام للقصة الذي يفسر آراء الكاتب ومواقفه في الموضوع :

واذا توفرت هذه العناصر في القصة شعر قارؤها بالمتعة الروحية التي نستطيع ان نردها الى عنصر الاهتمام الذي يشعر كل انسان بما يجده في نفس أخيه الانسان وفي حياته على تعدد ألوانها والقضايا التي يواجهها في الظروف الخاصة بمجتمعه [٤] .

(٢) نفس المصدر ، الفصل الرابع ، ص ٦١ ـ ١٣١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١١٦ .
(٤) انظر كتاب ش. هلكين : **توطئة للادب العبري** .

ويبدو من قصص نعيمة انه كان يعرف هذه الميزات ويلم بها ويعمل بموجبها اذ جاءت قصصه متقنة في بنائها ، تصف الحياة بالوانها الطبيعية ، وبعمق يدل على فهمه للنفس البشرية من جهة وعلى وجهة نظر عامة شاملة يريد ان يعرضها لقرائه من نواحيها المختلفة . وساحاول فيما يلي التطرق الى بعض النقاط والعناصر الهامة في قصص نعيمة .

٣ـ نظرة عامة على قصص نعيمة :

يضيق المجال عن استعراض جميع قصص ميخائيل نعيمة ، وسأقف على العناصر المشتركة لمعظم قصصه . ذكرت في مطلع هذه الدراسة ان لنعيمة ثلاث مجموعات من القصص القصيرة وهي : **كان ما كان** التي تضم ست قصص كتبت في الولايات المتحدة بين ١٩١٤ و ـ ١٩٢٥ وجمعت في كتاب واحد بعد عودته الى لبنان فقط (١٩٣٦) ، ثم **اكابر** و **أبو بطه** وقد كتبت قصصهما فيما بعد في لبنان وتضم كل منهما عشرين قصة تقريبا .

أما الشخصيات التي يصفها نعيمه في قصصه ، بما في ذلك شخصيات قصصه التي في الولايات المتحدة فجميعها مستقاة من خلفيته الوطنية ، أي كلها شخصيات «نموذجية» للناس في لبنان من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ، فترى الرجال والنساء والاطفال في القرى وفي المدن وهم من المثقفين والمعلمين والادباء ومن البسطاء وعامة الشعب الذين لم ينالوا حظا كبيرا من التعليم ، ثم نتعرف على أناس من الفقراء في القرى والمدن على حد سواء ، ومن الاغنياء والملاكين والاثرياء ، كما يصور شخصيات سلبية ، كما يصور اناسا من مختلف الاعمار . في **كان ما كان** ، ثلاث قصص فقط لها علاقة معينة بتجارب نعيمة في الولايات المتحدة ، وتصوير بعض الظواهر بغية انتقادها : ففي «ساعة الكوكو» ينتقد نعيمة الحضارة الآلية الصاخبة التي وجدها في نيويورك ويدعو الى العودة الى لبنان الوطن الهادي» ، وفي «شورتي» ينتقد مساوىء الحرب وآثرها السلبي على الجنود داعيا الى نبذ الحرب كوسيلة لتسوية القضايا السياسية الملحة . وفي «الذخيرة» يحمل على تفاهة الايمان بالطلاسم والشعوذات .

ومع تصويره الدقيق لشخصيات من جميع طبقات وفئات المجتمع اللبناني ، نرى نعيمة يعالج قضايا

وحالات من صميم واقع المجتمع وبعضها قضايا «شخصية» والاخرى «عامة» شاملة تتعلق بالمجتمع ومن بين المواضيع «العامة» التي يتناولها نعيمة في قصصه انتقاده للهجرة من لبنان الى الولايات المتحدة (في «ساعة الكوكو» من **«كان ما كان»**) ، وموقف الرجال من المرأة (في «سنتها الجديدة» و «العاقرة» **من كان ما كان**) والايمان بالشعوذات الذي لاقاه عند البسطاء (في «الذخيرة» **من كان ما كان**) وتفاهة اعتبار الانسان للموقف الطبقي ، هذا الموقف الذي يشترى بالمال (في «سعادة البيك» من نفس المجموعة) ونبذ الحرب والتنديد بها (في «شورتي» ، كالمذكور اعلاه)

وفي اكثرية قصصه تبرز قضايا اخلاقية اساسية تؤدي على الاغلب الى المأساة لابطالها .

فنكتفي هنا بذكر بعض القصص التي جاءت في مجموعة **ابو بطة** : في «دجاجة أم يعقوب» يصف مصير عجوز بخيلة لم تحب في حياتها غير دجاجتها ، فعندما غابت هذه الدجاجة اضاعت العجوز صبرها ورغبة العيش فتوفيت ، غير ان الدجاجة عادت في نفس اليوم الى ربتها بفرقة من الفراخ التي ربتها في الخفية .. وفي «شهيدة الشهد» يصف عناء بنت صغيرة فقيرة ضحت بحياتها (عن غير نية اساسية منها) لتجيء لاخيها المريض بشيء من الشهد ، وفي «ويذوب الجليد» نلقى امرأة جنت جنونها اثر وفاة بكرها وقامت تذيب الجليد الذي على النهر لتدفيء قلب العالم المتجمد ، القاسي ، وفي القصة «عتاب» نرى شاعرا مشهورا لا يستطيع ان يترفع عن الصغائر في حياته الشخصية فيخاصم زوجته وابنته لاسباب تافهة رغم وخزات ضميره وفي «اليوبيل الالماسي» نشاهد بأن الزوجة الوفية التي سعت لتنظيم حفلة عظيمة لشرف زوجها قد أدت (عن غير قصد منها ، ولا شك) الى وفاته متأثرا بالشهرة والضجة الفجائية حوله . اما موقف نعيمة من الثقافة والتعليم فنجده في «البنكاروليا» «والسرنوك» ، وفي الاولى يصف «انتقام» والد من ابنه الذي لم ينجح في حياته رغم كثرة دراسته وكثرة تبذيره لمال ومتاع والده الذي اضطر على بيع القطيع والكرم ليعطي ثمنها لابنه ... وفي الثانية يصف رياء معلم في مدرسة ثانوية «سرق» قصيدة رائعة نظمها تلميذ له ونشرها باسمه ، ثم اخفق هذا التلميذ وصديق له في الامتحان النهائي اذ فضحه هذا الصديق باعلان سره هذا ...

وقسم آخر من قصص مجموعة **ابو بطة** يعالج جليا مسائل روحانية ، مثل قوة الحب والايمان (في «ميلاد جديد») والايمان الحقيقي بالله («صديقي عبد الغفار») والحرية الحقيقية («أصفر الناب») والقوى الخارقة لطبيعة الفنانين («المسيو الفونس») .

٤ـ تحليل القصص :

كما قيل أعلاه يستغل نعيمة مؤلفاته الادبية لنشر آرائه في شتى المواضيع . ويمتاز عالمه الروحاني بخصائص صوفية . فقد انتقل خلال فترات حياته الشخصية من مرحلة القلق والتساؤل في ماهية الحياة وقيمها ، وماهية الله ، ومسألة الخير والشر ، والحياة والموت وذلك مع ميل الى العزلة والانفراد والتأمل فيما يراه حوله في الطبيعة ، واحساسه بالغربة عن سائر البشر ، الى مرحلة الاطمئنان الروحي المستمد من احساسه بالحب الروحاني للحرية ولكل ما في الكون ذلك الاحساس المرفوق بوعيه ، بانه يحمل رسالة انسانية سامية يجب ان يؤديها . فقد توصل من توغله في أغوار نفسه ، الى الايمان الصافي بوحدة الوجود اي بأن لا فرق بين الانسان والطبيعة التي حوله وبين الله ، جميع هذه العناصر موحدة ومتساوية بقيمتها ، فاذن لا قوة ولا ضعف في العالم ولا خير ولا شر وحتى لا قبل ولا بعد ، لان الكون كله يشبه دائرة لا بداية لها ولا نهاية . وكذلك الانسان ، لا نهاية لحياته او بعبارة أخرى ، ان الحياة (او حياة النفس) تستمر حتى بعد المرحلة التي نسميها «بالموت» وهذا ما يسمى بـ «تقمص الارواح» [٥] .

واذا عرفنا آراء نعيمة نستطيع ان نجد آراء عكسية لها في قصصه . والنقطة الاولى التي نلاحظها هي انه يصف في معظم ما كتبه أبطالا «غير عاديين ، مع واقعيتهم» فان بعضهم شيوخ وعجائز على وشك الولوج الى باب الموت ، وبعضهم لا أولاد لهم (والاولاد يمثلون المستقبل المتفتح في الكثير من الاداب والعقائد) . مثل ابطال «ابو بطة» «ودجاجة ام يعقوب» «واليوبيل الالماسي» «وأصفر الناب» «وهدية الحيزبون» من مجموعة **ابو بطة** ، وبعضهم يعانون من مرض ما ، أو مشوهون ، مثل ما نجده في

(٥) انظر كتاب ثريا ملحس : **ميخائيل نعيمة ، الاديب الصوفي** .

«وبلوب الجليد» و«تحديات» و«ميلاد جديد» من مجموعة **أبو بطة** ، و«شوربي» و«سماسة البيادر» و«العاقر» من مجموعة **كان ما كان** ومن جهة أخرى نجد أنماطا يشعرون بالغربة في المجتمع الذي يعيشون فيه مثل «المسيو الفرنسي» و«صديقي عبد الغفار» و«الملاك» ، وأبطال «الزلزال» و«السرنوك» وحارس الحظائر من مجموعة **ساعة الكوكو** وجميلة في «العاقر» . ان جميع هؤلاء الاشخاص الذين يصورهم نعيمة ، لا يعيشون على الغير الحقيقية التي ترى بما هو وكل ما يحدث لهم في حياتهم من شقاء جسدي ، وعذاب نفسي امر مقدر ومحتم لا مناص لهم منه . ولكن اولئك الاشخاص الذين يشعرون بالغربة في المجتمع ، لعل الاغلب يشعرون بالمثال او بالزلزال تتملك استغراب كل من حولهم ، ولكن القارئ يحس بان المؤلف نعيمة ، يقف الى جانبهم مؤيدا لتصرفهم متحمسا لوجهة نظرهم .

ففي قصة «العاقر» (٦) ، نقرأ اللقطة الآتية في الرسالة التي تركتها جميلة قبل انتحارها : «حتى الى الآن لا تدرك ان المرأة العاقر ولها قيمة محصورة فيها ومستقلة عن اولادها ؟ الا وهذه ليلة ثمة حياتي ، لكن ثمة حياتك لم تنحصر في بين تعاستي ، وهذا ما كان يؤلمني ويحرج الشيء ... الم ؟ الم تقل انت قبل الآن ؟ الم اكن جنة كل هذه السنين التي تركتني فيها وحيدة غريبة كسيرة النفس والقلب ؟ ومن هو قاتلي الست انت ؟ ... ان عزيزا الذي أحببته روحي اولا راح ولن يرجع ، فما فائدتي بعد من الحياة (٧) .» تمثل هذه السطور عقيدة نعيمة بان الحب الروحاني هو أسمى علاقة بين الزوجين ، ولا شيء ارفع منه الشيء ، حتى ولا رابطتها الطبيعية بالنسل والاولاد . واذا لم يكن هذا الحب ، زالت لذة الحياة والسعادة في حياتهما المشتركة كما نرى هنا بمرة اخرى انتقاد للرجال في المجتمع الشرقي الذين لا يقيمون وزنا لزوجاتهم ، ما لم يلدن الاولاد الذكور .

وفي «ميلاد جديد» نرى قوة الحب الروحاني تحقق المعجزة ، ويشفى الولد المشلول وكذلك نعرف ان «المسيح» الذي بواسطته المعجزة لم يكن الا شابا أراد السرقة في بيت الولد الا انه لم يكن ينوي الخير لغيره ليصف نعيمة ذلك بالكلمات التالية : يومن

(٦) كان ما كان ، الطبعة السادسة ، ص: ٦٩ .
(٧) نفس المصدر ، ص: ٨١ .

قال كأن اني استطيع ان اجعلك تمشي !

— كلهم ؟ كلهم : البابا ، الماما ، الخوري ، الطوال ، حتى الاطباء ...

— وانت ماذا تقول ؟

— اقول انه لن يشفيني غيرك .

— انت تريد ان تمشي ؟

— نعم ، نعم ، ولست اريد منك غير ذلك .

— وانت تحبني ؟

— اكثر من محبتي لابي وامي .

— هات يدك ، وقم وامش !

ولشد ما اندهش الصبي واتسع به الفرح عندما نهض من فراشه ومشى ...» (٨)

وتصدى الايمان الحقيقي بالخالق يؤدي الى ما يسميه نعيمة «عيد القلوب» يقول المؤلف في قصته : «صديقي عبد الغفار» على لسان : «عبد الغفار» : «ولكن اعياد الناس ... يا استاذ اصبحت اليوم اعياد عيون وأفواه وبطون لا اعياد قلوب وافكار وارواح ، ولو ان الناس فرحوا لاعيادهم حتى لجعلوها ايام عافية وتأمل وحرمان جديد ، لا ايام مرح ومرح وشبع بعد جوع ، لكن حق للبطن الصائم عن الاكل والشرب ان يعيد بالاكل والشرب لما يحق للقلب الصائم عن الرغبات والفكر الصائم عن الشرور ان يعيدا برجوعهما الى الرغبات والشرور ، فعيدهما لا يليق ان يكون بالاستسلام الى هموم جديدة وحرمان اشد من ذي قبل» (٩) .

وفي قصة «الصغير الثانية» يصف نعيمة الحرية الحقة التي يشعر بها الانسان ، الذي تحرر من قيود الوقت والمادة الحياة ، وكان «الصغير الثانية» شحاذا اعمى يعتاش من التسول ، وفي يومه الاخير على الارض ، الذي يشعر به غلام قريب الاطراف ، الشعر فجأة بانه قد تحرر من

(٨) ابو بطة ، الطبعة الثالثة ، ص: ١٢٣ .
(٩) ابو بطة ، ط ٣ ، ص: ١٣٢ .

كل عبالة ومن قيود الزمان ، ويصف ذلك الاحساس بالقلق : «هلا الآن اصدق اني انا «الصغير الثاني» واني في الساعات الباقية لي على الارض لن أكون شحاذا ولـن احمل ثقلا ولن احلم بحلاقا آكل واشرب والبس واين انام ، وستكرني هذه الحرية تاليني على عين قرة ولـو ساعات معدودات (١٠) .» وفي مسرحية «الورقة الاخيرة» نسمع من كلام الجد جانبا آخر للشعور بالتحرر من قيود الوقت ، يقول : «لما انا فقد اعتزمت ان اتخلص من أهلي كل اثقال الزمان ، ها انا ذا انزع الخوف من قلبي والشك من فكري والوهن من جسدي فاقـول للموت : أهلا وسهلا ، وللمجهول : ستظهر معلوما ، وللماضي والحاضر والمستقبل : الا الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل ، ها انا ذا لمزق هذه الورقة الاخيرة من تقويم عمري ... لا روزنامة بعد اليوم ، لا عام يموت ولا عام يولد ، لا ساعات ولا ايام ولا شهور ، لا رغبة تظهر ولا شهوة تستيقظ ، لا سابق ولا لاحق ، بـل ديمومة اولها آخرها وآخرها اولها» (١١) .

اما الناس ذوو القوة الخارقة للطبيعة فيمثلهم المسيو الفرنسي ، بقوله : «اني رجل ابتلاه الله ببلايا ثلاث : حب الموسيقى والحس الباطني الرفيع والنشاط الاحلام العجيبة في المنام ،» (١٢) نرى ان نعيمة يربط بين التفوق الفني — الموسيقى في هذا المجال — وبين الالهام العلوي الالهي ، وهكذا يعرف هذا الانسان ما لا يدركه الانسان العادي .

اما محور قصة «شوربي» في **كان ما كان** و«الجديدات» في **ابو بطة** فانه يدور حول تفاهة الحروب ومآسيها ، واهم لقطة يعرض فيهـا آراءه في «شوربي» ترد في الرسالة التي يتلقاها من المؤلف كما يلي : «فسخت رفاقي يندون بالارستقراطيـة والاستبـداد والظلـم والبربرية ، والقوة المطلقة ، فشن ما هم العدائي فاصبى عليهم كريت نفسي ، وصيت ينار بغضائي الى ساحة القتال فلم اجد حيالك لاعدائي من اثر ، وجدت جهلا يتاطح جهلا وشرا يذبحون شرا وكلهم مخدوع لا دافع فادركت ان الناس لا يقدرون ان يبغضوا الا الناس لانهم قاصرون عن بغض شر مجرد كما انهم قاصرون عن حب خير مجرد ، ووجدت نار بغضائهم كنار حبهـم

(١٠) ابو بطة ، ص: ١٢٦ .
(١١) ق.و.ق ، ص: ١٦٠ — ١٩٤ .
(١٢) ابو بطة ، ص: ٣٥ .

مزارة لا تكاد تلمح حتى تنطفئ» (١٣) . ونجد في هذه الفقرة ، اشارة الى الدارنة الى تفاهة الحرب وشرها ، خيبة امله من الناس عامة ، لانهم لا يترفعون عن الصغائر في كرههم وحبهم على حد سواء ، وفي «الجديدات» نسمع الجندي الشيخ المشوه اثر الحرب يقول : «اتريد كبار الارض ان يبتاعوا سلمهم بالدم ؟ فليبتاعـوه بدمائهم ، أيريدون حريا لصيانة املاكهم ؟ فليحرقوا قمارها هم ؟ أيريدون حرية لافكارهم وقلوبهم ؟ فليبنوا صروحها بافكارهم وقلوبهم في افكارهم وقلوبهم ؟ اما انا وانت ، يا بني ، فما شأنهم بنا يسوقوننا بالاسـواط واعقاب البنادق لنقاتل أناسا مثلنا لا نعرفهم ولا يعرفوننا فنا نبغضهم ولا يبغضوننا ، فنخرب ديارهم ويخربون ديارنا ، ونيتم اطفالهم ويبيتمون اطفالنا ، ونهدم مناحم ويهدمون معابدنا ؟ الا لتلك الغاية وحدها يرسلوننا لنحيا ولنحب الحياة ولنقهر الموت بالحياة» . وقبل ذلك قال : «اريدوا الى رحلي وبيتي واهلي ، اريدوا الى كرامتي ، اريدوا الى زهر الحياة ، وباشطوا كل ما في الارض من اوطان ، فما من وطن يوازي رجلا تسعد وتراضى وبدا تقبض وتعمل وعينا تبصر وتحلم» (١٤) .

اما علاقة الانسان بالطبيعة فلها اهمية خاصة في قصص نعيمة لانه يرى الانسان جزءا لا يتجزأ من الكون الذي يحيط به ، ويستعمل عناصر الطبيعة ومظاهرها كعناصر او «شخصيات» ادبية لتطوير حبكة القصص ، ففي قصة سماها «الجديدة» يقابل بين العاصفة التي خارج البيت وبين العاصفة التي داخل رأس ابي ناصيف وقلبه في فقرات مثل : «هناك ضوء منطرة شحيح لايزال يلمع في احد البيوت ، كانه يحارب الموت ، يهب ويتطفئ . الله ولولا العاصفة تضرب بنوافذ ذلك البيت فتمور من هناك كالة طويلة مؤلمة ؟ ام ذلك عواء كلب تلعب بنسمة امواج الريح فتجعله بشاية الآلة ؟ ام هو صوت بشري خارج من صدر يقطعه الاعياء (١٥) . ام «أصوات ترن في اذنيه والشباح تمر امام عينيه ، الموت في رأسه وزوبعة في نفسه ، وتلك العاصفة الجنية ، التي تصرخ وتعول وترقص حول البيت فترقص معها النوافذ والابواب ، ماذا تطلب منه ولماذا تبغيه ؟ أعريس ام محـروس ؟ الاشباح تبرم معه وتدور حوله كراقصات في عرس او كالنعات في جنازة» . وقد سمت في وجهه الشاحبة وقيمت

(١٣) كان ما كان ، ص: ١١٦ .
(١٤) ابو بطة ، ص: ١٥٠ .
(١٥) كان ما كان ، ص: ٥٥ .

حطواته ، فانتصب في وسط الغرفة كجسم تجمدت حوله الوف من العابدين تتالب جيوشهم كامواج بر تفجرت تحته بركانات . وهذه الامواج تركض نحوه من كـل جانب . ها قد قفزت الى صدره فاحس كأن صيغين انداع قلبه بقبضة وثلاثة . ها قد طوقت عنقه وضغطت عليه بكل قواها : وبين ... عندئذ العاصفة تقل رأسه اطلم النور في عينيه . هو يغرق» (١٦) . وفي نهاية القصة نسمع من رد فعل الطبيعة اثر فعلة ابي ناصيف الهائلة : «بزغ الفجر وبدأ اهل القرية يهنئ بعضهم بعضا : «عاما سعيدا ، كل سنة وانتم سالمون» . اما في المقبرة وراء الكنيسة فكانت الاشجار تنتحب والعاصفة تنوح والسماء تبكي بدموع متجمدة» (١٧) .

اما في قصة «العاقر» فنرى امثلة اخرى لعلاقة الانسان بالطبيعة : «مضت الاشهر الاولى من حياة جميلة الزوجية كيوم من ايام الربيع لم تر سماؤه غيمة على الاطـلاق وحولها واشجاره وازهاره واعشابه وانهاره وروابيه وحشراته كلها تمل بخضرة الحياة ولذة التجدد كانها في مهرجان عظيم» (١٨) . وعندما طرأ تغير على حياة جميلة وزوجها عزيز نقرأ الوصف الآتي : «وكل يوم جديد كان يؤكد لجميلة ان هاوية تفرق فاها بينها وبين عزيز ، هو لم يزل يناديها «قارورة» ... لكن ذلك الحنو في صوته وتلك البهجة في عينيه تبخرا كضوع الندى تحت وحنات الازهار بعد طلوع الشمس ... ووجهه لم يعد كالسابق مرآة مصقولة تكشف عن كل حركات روحـه وقلبه بل اصبح الآن وجه يحجر يأتي تمثل الحياة تحته مشاهد خفية لا تراها عين ولا تسمعها الاذن ، وذلك النور الالهي في عينيه — قد انطفأ الآن وحل محله نور الموت ... تهب منه نسمات باردة على روح جميلة» (١٩) .

ولظاهر الطبيعة تحمل قيمة رمزية وادبية رائعة في قصة «وبلوب الجليد» ويتم ذلك واضحا حين تسمع المرأة المسكينة تقول لزوجها : «انني انظر قلب الله ، لعل العام الجديد يولد وليس في قلبه جليد !

— ومن ادراك ان في قلبه جليدا ؟ (هكذا يتسـاءل زوجها) .

— الجليد الذي في قلبي وفي قلب الارض من حولي وقلب السماء من فوقي ، اما ترى الى الارض كيف تلتحف بالجليد ؟ ... التراب ، والصخر والنهـر والشجر والنجوم ، كلها جليد . والناس كلهم جليد» (٢٠) . ويضيف : «الاعوام تولد في القلوب وتدفن في القلوب والذين اجلدت أعوامهم بالحرب والجوع والعفن والحرمان والظلم اجتثت اعوامهم بالحرب والجوع والعفن والحرمان والموت ... والذين دفئت قلوبهم بالحسنة والحب والصدق والرضى والعدل دفئت اعوامهم بالسلام والبحبوحة والعطر والعافية والطمأنينة فكانوا في عز وارغاد ، لم يقل لهم احد كل عام وانتم بخير» (٢١) .

لقد قال مارون عبود في نعيمة «لا اسميه فيلسوفا بل اديب قبل كل شيء» وتظل صنعته الادبية ثابتة مهما فسلها وطورها وزاول الفلسفة (٢٢) . وتظهر هذه الميزة بصورة خاصة في قصصه القصيرة لقد حظيت المجموعة الاولى **كان ما كان** بالثناء والتقدير لجودة قصصها ، وقد اعتبر عبد العزيز عبد المجيد ، قصة سماها «الجديدة» (التي سبقت قصة محمود تيمور الاولى على القطـار بثلاث سنوات) حجر زاوية في الاقصوصـة في الادب العربي (٢٣) . يعزو عبد المجيد في كتابه بوحدة الموضوع والعوامل المؤثرة ، وتركيز الحادث والنتيجة والتأثير كما يمتاز الاسلوب بالتركيز والتوغل العميق في نفسية ابي ناصيف بما تنطوي عليها من مشاكل ونوازع مركزا والقصة سهل طريف يوضح خلفية القصة بشكل هـادئ وشبه فكاهي (٢٤) . اما بروكلمـان (٢٥) وجبـور صبحي (٢٦) فانهما يطريان على قصة «العاقر» من نفس المجموعة لجودة تحليلها النفساني .

ومن الجدير بالذكر ان نعيمة علق وحدد المقاييس الادبية الاربعة التي يجب ان تتوفر في كل اثر ادبي كقيمة خالدة (٢٧) . كما حدد ماهية الادب ومهمته في مقال نشر في مجلة «الابحاث» (٢٨) . وفي معظم قصصه نرى انه ينجح في تطبيق مقاييسه الاربعة وهي : التعبير عن العوامل النفسية ، والتعبير عن نور الحقيقة ، والجمـال ، والموسيقى ، اي التناسق في الايقاع والاصوات التـي تحيط بالانسان والتي توجد في نفسه . يصبح نعيمة في قصصه عن المشاعر الانسانية ، كالحب والكراهيـة ، والايمان ، والشك والرجاء والياس والحزن والفـرح قاصدا دائما الى نور الحقيقة التي يريد ان يهدي اليها القراء . اما البنى الفني القصصي فهي اقله متكامل ، من حيث تطور الموضوع او الحبكة والتعمق في شخصية الابطال ، وخاتمة ملائمة لما يصفه نعيمة عن حياتهم ، كل ذلك يتناسق الايقاع . ومما يزيد الشعور باللذة الفنية اسلوب نعيمة الذي يمتاز بسهولة التعبير ، وبعدم الاطناب ، وبالجمل القصيرة غير المعقدة (من حيث النحو) وبالصور والمجازات الجميلة والامثال الشعبية العبرة . الا ان نعيمة يكاد ينسى الاطار الفني الذي يستعمله في بعض قصصه ، فيورد حوارا اشبيها بالخطب والمواعظ ، او يبرز الهدف التعليمي من القصة بصورة اوضح مما يجب ، او يسكب الاوصاف الطويلة الحافلة بالاشياء ، مثل ما نراه في قصص «الشاب» و«صديقي عبد الغفار» و«الصغير الثاني» من مجموعة **ابو بطة** ، كما نجد انه لـم يحسن التوغل الى نفسية الابطال او اظهارهـا في بعض قصصه الاخرى ، مثل «المسيو الفرنسي» او «زلزال» من نفس المجموعة .

ختـام

ان القصص التي استعرضناها هنا (كالقصص التي لم نذكرها في نطاق هذا البحث) تعكس آراء نعيمة في الانسان وحياته ومصيره . فالانسان لا يستطيع ان ينجح او يسعد في الدنيا ما لم يفهم الحياة والكون المركب من ثلاثة عناصر متناسقة مرتبطة متساوية : الله والطبيعة الشاملة والانسان الذي هو جزء من الطبيعة من هنا جاءت بعض قصصه متشائمة ، عندما تصف ظروف الابطـال «المأساوية» في الحاضر وبعضها متفائلة ، حين يدعو الـى الاصلاح . ولا يؤمن نعيمة انه من الممكن ان يتحسن حال البشرية الا عن طريق الخير والاجتهاد الروحي الشخصي لينتصر الانسان بهما على الشر الذي في طوية نفسه .

ورغم ان نعيمة لم يعدم الكثير من المطالع الفلسفية فيما كتبه فانه استوعب الروح الدينية منذ طفولتـه ، فآمن بتعاليم الحب والاخاء البشري التي انـبـوحيـة في المسيحية ، ثم هضم فلسفات كثيرة اخرى ، وخرج بعد ذلك بوجهة نظر متبلورة قوية تقود الى الطمأنينة الروحية المزروعة بالفاعلية الايجابية لصالح ما يسميه «الشركة الانسانية» (٢٩) .

وفوق ذلك تمتاز قصص نعيمة بقيمة فنية كبرى ، اكسبته فضلا كبيرا في الادب العربي الحديث .

(١٦) كان ما كان ، ص: ٥٥ — ٥٦ .
(١٧) ق.و.ق ، ص: ٥٧ .
(١٨) ق.و.ق ، ص: ٦٣ — ٦٤ .
(٢٠) ابو بطة ، ص: ١٠٨ .
(٢١) ابو بطة ، ص: ١٠٩ .
(٢٢) مارون عبود ، في **المختبر** ، ص: ٢٠٨ .
(٢٣) عبد العزيز عبد المجيد ، **الاقصوصة في الادب العربي الحديث نشأتها وتطورها وقالبها** ، ص: ١٠٣ — ١١٣ .
(٢٤) في كتابه **تاريخ الادب العربي** ، الملحق ، الجزء الثالث ، ص: ٤٧١ — ٤٧٢ .
(٢٥) في كتابه : **ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية** ، ص (الفصل عن نعيمة) .
(٢٦) في **الغربال** ، ١٩٦٣ .
(٢٧) **الابحاث** ، ١٩٦٤ ، ص: ٩٩ — ١١٦ .
(٢٨) انظر في **زاد المعاد** ، المقالة تحت هذا العنوان .

مراجع البحث

بروكلمان ، ك. : **تاريخ الادب العربي** ، الملحق ، الجزء الثالث ، ليدن ، ١٩٤٢ (بالالمانية) .
سراج ، نادرة جميل : **شعراء الرابطة القلمية** ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
صبحي ، جبور : **ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية** ، القاهرة ١٩٥٦ .
عبد المجيد ، عبد العزيز : **الاقصوصة في الادب العربي الحديث نشأتها وتطورها وقالبها** ، مصر ، ١٩٤٨ .
عبود ، مارون : **في المختبر** ، بيروت ، ١٩٥٦ .
ملحس ، ثريا : **ميخائيل نعيمة — الاديب الصوفي** ، بيروت ، ١٩٦٤ .
نعيمة ، ميخائيل : **ابو بطة** — الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٦ .
نعيمة ، ميخائيل : **زاد المعاد** ، بيروت ، ١٩٣٦ .
نعيمة ، ميخائيل : **الغربال** ، نيويورك ، ١٩٢٣ .
نعيمة ، ميخائيل : **كان ما كان** ، الطبعة السادسة ، بيروت ، ١٩٦٣ .
نعيمة ميخائيل : «ماهية الادب ومهمته» ، **الابحاث** ، ١٩٦٤ ، ص: ٩٩ — ١١٤ .
مندور ، محمد : **الرابطة القلمية** ، محاضرات الى طلبة معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥ .
محاضرات ألقيت عام ١٩٥٤ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ .

مروان عبد الله

البنيانيـة والعـــرب

يكثر الكلام حول «البنيانية» كمدرسة في الفكـــر وكطريقة في التفكير تعيد طرح القضايا من منظور اخر . هذه المدرسة الفكرية اجتاحت ، الى حد كبير ، الفكر الغربي المعاصر ، واعطته اكثر من اتجاه جديد لم يألفه سابقا .

وهذا التغير الذي طرأ على الحياة الفكرية عنـــد الغربيين ترك بصماته على التفكير العربي ، الذي انقلب بدوره الى اللغة العربية خاصة والفكر العربي عامة يعيد محاولة فهمها فهما جديدا ومتغيرا . ولعل ما يلفت النظر ، ان التجارب والمحاولات التي اجريت حتى الان تدل ، وبشكل واضح ، على ان اللغة العربية هي من اكثر لغات العالم تقبلا لهذا النظام الجديد في التفكير . وتأكيدا لذلك فان اكثر من جامعة عربية قد ادخلت هذه المادة في صلب برامجها الاساسي ، وليس اقل على الاهمية التي تحوزها هذه المدرسة الفكرية من تجدد المحاولات التي يقوم بهـــا بعض المهتمين في الامر ، ومحاولتهم ايجاد تطبيق افضل للنظريات الجديدة .

ولعل ابرز المحاولات التي جرت حتى الان هي التي قام بها الدكتور ريمون طحان ، دكتور من السوربون ، واستاذ الالسنية والبنيوية في الجامعة اللبنانية ، يعاونه فريق من الاساتذة وبعض الطلاب .

وقد قدم الدكتور طحان حتى الان اكثر من مؤلف ودراسة حول هذا الامر ، فكتابه **الالسنية العربية** يقدم دراسة واعادة نظر في الاصوات العربية والمعجم العربي والصرف العربي ، بعد هذه الدراسات الاولية ينتقل الدكتور طحان الى دراسة النحو العربي والجملـــة والاسلوب من منطلق بنياني خالص . ويصل الـــى نتيجة مهمة هي ان اللغة العربية من اكثر اللغات في العالم ، خاصة اللغات الحية ، تقبلا للتفكير البنياني وتطبيقا له .

لذلك وتحت عنوان «الالسنية» يكمل ابحاثـــ ويوسعها ، كتب بحثا حول علوم الصوت والاصوا العربية ، وعلوم الدلالة والليكسيكولوجيا والمعجـــ العربي ، ثم المورفولوجيا العامة واللغة العربيـــة ويصدر له في هذه الايـــام كتابان حـــول الموضو نفسه : البنيانية وامكانيــة تطبيقهــا فـــي اللغـ العربية ، خصوصا في الكتب المدرسية .

لكن ، لماذا الاهتمام بهذه المدرسة ، وما هي البنيـ تعني ؟ يجيب الدكتور طحان : البنيانية نظرية حديثة سمحت في عملية تقعيد اللغات (وضع قواعد عامة لها وتنظيرها بموجب مبادئ ونواميس وقوانين صارمة لانه من الضروري وضع حد «للشعوذات» التـــي تصـ بعض اللغة عندنا .

● ما هي هذه القوانين والنواميس الصارمة ؟

□ الشمول : تتألف اللغة من مجموعة من الظواهـ الالسنية البحتة تدخل في نظام متكامل وفي علاقـــ ميكانيكية واحدة .

المبدأ الثاني : يقول الدكتور طحان هو الانسجام وهو يعني بالدرجة الاولى ان مختلف الاجزاء التـــ تؤلف هذا النظام المتكامل تتعاون لتشكل وحـــ متناسقة الاجزاء ، وهذه الاجزاء التي هـــي الاصوا والمفردات لا ينبغي ان تتناقض بأي حال من الاحوال والا تكون قد قضت على الانسجام المفترض وجوده في القضيـــة .

والمبدأ الثالث هو الاقتصاد في اللغة ويسعى الى عد هدر الجهود البشرية ، فتصير اللغة بالاقتضاب والاختصا عما يجول في خاطر المتفهم بها . ويمكن اختصار مبـ الاقتصاد في اللغة بالمبدأ المعروف : بذل ادنى جهـــ والحصول على اكثر منفعة .

اما المبدأ الرابع فهو الوظيفية ، وهو ان يقوم كل جزء ضمن التنظيم اللغوي ، فيؤدي وظيفته التي تسهـ في بنائه ونطقه واستمرار عيشه ، لان اللغة تنظيـــ وظيفي يتألف من مجموعة وسائل التعبير الصوتيـــة او الكتابية التي تنسجم مع غايات معينة هي الفهم والافهام والتواصل .

البنيان المتكامل للغة

اين تقع اللغة العربية من هذه المبادئ ؟ يقـــول الدكتور طحان : اللغة العربية يمكن ان تتبع الطريقة رياضية او ان اساليب تعليمها العلمية يحصل فيها بعض التغير ، فالخلل القائم في طريقة التعليم الحاضرة وليس في جوهر اللغة .

● امثلة على ذلك ؟ المعجم العربي هو بنيان كامل الاصول تتبع في وضعها اساليب موضوعية بنيانيـــة علمية . فالاصول الثلاثية هي حجر الزاوية في المعجم العربي ، وما يذكر بعض الاحيان حول وجود اصـــول ثنائية الصوت ، انما ذلك ناتج ليس عن صلب اللغة ، بل من اصول سامية قديمة احتفظت اللغة بها .

ويمكن ، اضافة الى ذلك ، اخذ عملية الاشتقاق بعين الاعتبار ، فاللغة العربية هي لغة الاوزان بامتياز ، حتى ان الجموع المكسرة ، او غير السالمة تتبع اوزانا محدودة ومحددة ، اعني شبه قياسية .

اما الغاية من البنيانية ومحاولة تطبيقها «عربيا» ، يقول الدكتور ريمون طحان ، فهي التنظيـــر الصارم والصفاء الفكري وجعل اللغة ميدانا للفلسفة المعاصرة ، تقيدها وتستفيد منها . فكل كتبنا النحوية تميل الى التعقيد اكثر بكثير مما تميل الى التبسيـــط والافهام ، كتب القواعد العربية تتوجه الى الفقهاء وليس الـــى المتعلمين .

عمليا ، ما هي امكانيات تطبيق هذا التفكير حـــول اللغة ؟ محاولة تعليم اللغة بنيانيا وخصوصا الاهتمام بتركيب الجمل بحيث تتحول الجملة الى بنى وقوالب جاهزة اقرب الى السليقة البشرية منها الى الاجتهـــاد الشخصي في عملية البحث عن عناصر تكمل تركيـــب الجملة . واذا تحولت الجملة العربية الى نوع من السليقة غير تركيب جاهز ، فانها تصبح اللغة الام الفصحـــى الفصحى لغة التبادل اليومي بين الناس عاديين . وربما نصل الى حل لمشكلة العامية والفصحى ، ونلغي صراعا طويلا بين الاثنين . مما يؤدي في النهاية الى تقريب او وحدة في التفكير وتلغي الازدواجية بين اللغة الرسمية واللغة غير الرسمية ، وتحل الاشكالات العالقة .

والبنيانية تصل الى مرحلة تصاغ فيها القواعد في قالب بنياني الى وضع اكبر مقدار من القواعد ضمن اصغر حجم من الكلام . وبهذه الطريقة نصل الى حـــل جزئي لكنه اكيد لمشكلة اللغة العربية التي يعاني منها الاجانب الذين يريدون تعلم اللغة العربية . اذ الـــلغة تصبح لغة عصرية ، تعيش او تعكس واقع العصر الذي نعيش فيه والمرحلة المفروض اعتمادها في عملية التواصل بين اكثر من لغة وثقافة وحضارة .

القصيدة النثرية

ضمن بنى جاهزة وحاضرة ، فكيف ننظر الى القصيدة النثرية التي يقول بها عدد اكبر من شعرائنا اليوم ؟
اذا كانت البنيانية تسعى الى وضع اللغة وتجهيزها
يقول الدكتور طحان : البنيانية تهتم خاصة بالنتاجات تمت خلال عصور متمادية ومتتالية ، فتموضع البنى بالقول والانتاج . لكن نظرة البنيانية الى قصيدة النثر التي هي القصيدة الاكثر شعبية في العالم العربي ، نظرة يشوبها عامل الريبة ، فهي تستطيع ان تنظر في توافق الشاعر مع بنيانه ، بينما لا تستطيع في الوقت الحاضر ان ترصد تيارات متعددة متدرجة لم يكتـــب لها ان تتوضح باشكال محددة بطيات التاريخ .

فلا بد من مرحلة اخرى ، وربما اكثر من مرحلـــة لاعادة فهم القصيـــدة الحديثة من منظور بنياني ، وبانتظار ان تجد هذه القصيدة لنفسها شكلا معينا تتطور به وتفرض نفسها على العلوم النثرية القائمة .
وينهي الدكتور طحان حديثه بالدعوة الى الاهتمام بهذه المدرسة الفكرية واعارتها مزيدا من الدرســـ والتحليل ، على هذه الدراسات البنيانية تحرك الاجهزة الرسميـــة وغير الرسمية في العالم العربي على اعتمادها والاخذ بها كمبدأ ، ويمكن له وحده ان يخلص لغتنــا من جمودها وتقصيرها الراهن تجاه اللغات الاخرى .

الخطوة الاولى ، كما يحلو للدكتور طحان ان يؤكد ، هي ان نجعل اولادنا يتعلمون لغتنا بالطريقة الاسهل والاسلم تلك هي الخطوة الاولى . وبانتظار ما يأتي تبقى لغتنا بحاجة الى منقذ ، وربما كانت البنيانية او ربما كان غيرها ، لا فرق ، المهم اننا سنتعلم لغة تدخل فينا ولا تدخل نحن في طلاسمها وغموضها .

تلك هي المشكلة التي تبقى بلا حل ، وحتى اشعار اخر وهذا هو التحدي الذي تواجه به البنيانية ، فهل تكون الهبة ام ترتاح في منتصف الطريق ؟ الجواب عن هذه التساؤلات يكمن ربما في الخطوات التي تلي .

محمد أبو ريا

كان من المفروض ان تكون قصة

هكذا تبدأ كل القصص ... !

انفعال .. ضيق .. تفجر ..

ثم محاولة لافراغ هذا الانفعال على الورق .

كانت تجلس أمامي بالضبط .. كل شيء فيها هادىء رقيق .. ناعم ، وأنا أعيش مع مأساتها ـ مأساة كل بنت ـ من خلال كوب شاي وحبات صغيرة من الدموع . أغرق في أكداس من الورق تحكي قصتها . كان من المفروض أن تكون قصة .. !!؟

لكن البطلة رفضت ذلك في اللحظة الاخيرة ، وتركتني أضحك من انفعالي وضيقي وتفجري وأحساسي الضخم بمشكلتها حينما اندفعت الى أحضان جديدة قبل أن تجف حبات الدموع من كوب الشاي ..!

هذا ما حدث ..!

وبقيت قصتها يتيمه .. مبتوره .. تفتش عن نهاية . لكن النهاية قد لا تاتي ، فهي الى اليوم مازالت تغير عواطفها وانفعالاتها كما تغير قميصها «المعرق» كل صباح .. !!!

× × ×

يخرس كل شيء في صدري .. عيوني تحدق بكومة الكلمات التي تقفز من بين الاسطر ، تصفعني في وجهي .. أحس بخشخشة كئيبة في داخلي ، غرفة أعدام يطل علي من عتمتها حبل غليظ أسود كأنه يغمز لي .. تفتح البوابة ـ شبح عظيم يستند على الجدار يرمقني . أنيابه الطويلة الحادة تهتز بفعل قهقهة حاول أن يكبتها في صدره ، ينظر الي ، يرى الكلمات الحزينة الملتصقة على جبيني وفي عيوني وفوق الطاولة .. يتوقف الاصطكاك في ركبتي ، وجهي لم يعد ممتقعا ، العرق البارد فوق جبهتي بدأ يجف ، توقف الخفقان المريع في صدري ، والكلمات الحزينة بدأت تخترق رأسي .. تتفاعل مع عقلي ، تعيش فيه ، الكلمات لم تعد خرساء أبدا .. تنطلق ، تخرج بقوة ، تقذف الجدار .. أسمع موسيقى رائعة تندفع من جوفي الى فمي .. ذهبت الخشخشة ـ أشهق .. أحس بأنني على وشك الاغماء .. نشوه ، لذه ، طوفان سعادة غامضة تغمر وجهي ـ اطياف تتراقص من حولي .. اطياف عديدة : تتداخل الاطياف .. اربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .

تنسجم الصورة في رأسي .. ارى جميع ملامحها .. تمتد يدي بثقة نحو الصورة ، لكنها ترتجف في منتصف الطريق .. الصورة في يدي .. تذوب غرفة الاعدام .. تطير ، الحبل الاسود يطير .. باقة جميلة من الورد الاحمر تنتصب أمامي والصورة بيدي حمراء ، جميلة ، مغرية ، تشدني بعمق ، بلذة ، والكلمات المكومة على الطاولة امامي تتفاعل مع عقلي .

اخي العزيز ....

فكرت كثيرا قبل ان اكتب اليك .. ماذا يمكنك ان تفعل من أجلي .. ماذا يمكن للعالم أن يفعل من أجلي .. هل يهم الناس ماذا يحصل لي الان .. ماذا يدبر لي .. الحياة تسير سيرها الطبيعي .. ومن نافذة غرفتي أرى عشرات الاطفال يقفزون في الحارة .. يصرخون .. يغنون .. يبكون ثم يعودون الى احضان امهاتهم ..

الحياة تسير وأنا اقف مصلوبة على شباكي وكأنني اتفرج على مسرحية .. كأنني لست من هذا العالم .. اشعر بأن الجميع يتخلى عني ، لا أحد يهتم بي .. فقدت ثقتي بالجميع .. فقدت ثقتي حتى بنفسي .. تهتز

الارض تحت أقدامي ٠٠ أسير في مستنقع لزج ٠٠أغوص فيه الى قمة راسي ثم انتفض ، لتعود اقدامي المتعبة في رقصة محمومة في ذلك المستنقع اللزج تغوص ثم ترتفع، تغوص ثم ترتفع ٠٠ أنفاسي تتلاحق مختنقة ، تعلـو وتنخفض ، وصدري يهتز بفعل هذه الابخره المتصارعة في داخلي ، وأنا مرغمة على المسير وكأنني لا أرى شيئا ولا أحس بشيء ٠

من أجل النصر أتحالف مع الشيطان ٠٠ !

هذا ما قلته مرة ٠٠ ما آمنت به ٠٠ التحالف حتى مع الشيطان ، ولكن ، اين هو الشيطان ، حتى الشيطان لا يريد أن يتحالف معي ، أنه يعرف بانها معركة خاسرة وقد يخسر هو الاخر معي ٠٠ ستتلطخ سمعتـــه ٠٠ ستذوب اسطورة نجاحه ٠٠ انه لن ينتصر ٠٠ فشلـي سيجعل النصر مستحيلا حتى ولو اجتمعت كل الشياطين لمساعدتي ، حتى الشياطين تتخلى عني ٠٠ وعندها فقط فكرت أن اتوجه اليك ٠٠ لا تسخر مني ٠٠ فهل تكون أنت أقوى من الشيطان ٠٠ !!؟؟

أرجوك ٠٠ لا تقذف الورق ٠٠ لا تتوقف عن القراءة ٠٠ لقد كتبت من أجلك فقط ، وانا أشعر بانك لا يمكن أن تساعدني ولا يمكن لاحد أن يساعدني ٠٠ وسأكون بالنسبة اليك مادة لقصة تحبكها على الورق ٠٠ قصـة سخيفة ٠٠ متضخمة الاحداث ٠٠ هزيلة الحل ٠٠ نعم ٠٠ هكذا تكتب ٠٠ ! قصصا كبيرة ، ضخمة ، ولكنها باردة ٠٠ جوفاء ٠٠ أشعر فيها بالافتعال ٠٠ احداثهـا مجهضة ٠٠ فجة ٠٠ عسيرة الهضم ٠٠ تتحدث عن الالم بسطحية ٠٠ بضعف ٠٠ تشد التعابير الحزينـــة ، تصوغها بلوعة ثم تقذفها على الورق متصنعا شهقة حزن ولكنك سطحي ، لم تجرب معي الالم ٠٠ لم تعش فيه ٠ لقد قرأت كثيرا مما كتبت حول نفس موضوع قصتي ولكني لم أجد شيئا ٠٠ مزيدا من الكلمات البائسة ٠٠ مزيدا من الحوادث المفتعلة ٠٠ والحل ٠٠ ! لا يوجـد حل ٠٠ ! ٠٠ فقط ٠٠ حزن ودموع ويأس ، ونهايـة سعيدة ، عفوية ، لا أعرف كيف توصلت اليها ٠ لكني الان عندما أكتب عن نفسي ، أشعر بانني لا أحتـاج للتوقف قليلا لارى وقع الكلمة في نفس اي انسان ٠٠ فقط أكتب ، وأكتب ، وأشعر بأن كل شيء في يكتب ٠٠ قلبي ٠٠ عقلي ٠٠ دموعي ٠٠ وعندما فكرت في الكتابة اليك لم أطمع في ايجاد حل لانني أعرف معنى الحلول التي تعرفها أنت وأمثالك ٠٠ حلولا هوجاء ٠٠ حمقاء ٠٠ لا تتعدى دائرة التعبير بالكلمات ، وعندما تقذف القلـم تتنهد بارتياح وكأنك تقذف بالعالم وبمشاكله من فوق راسك ٠٠ ولكني أكتب فقط ، لالقيما في قلبي في وجهك ٠٠ لاصرخ ٠٠ لانادي ٠٠ لاقول للجميع ٠٠ أنا مظلومة ٠٠ واعرف ظالمي ٠٠ أكرهه ٠٠ سرقتم مني كل مــا أملك ولكنكم لم تسرقوا قلبي ٠٠ لم تسرقوا أرادتي ٠٠ لم تسرقوا لساني ٠٠ ولم تصلبوا كلمتي مثلما صلبتم روحي ٠

أكرهكم جميعا ٠٠ حتى انت أكرهك ٠٠ ! ٠٠أتعرف لماذا ٠٠ ؟؟ لانك فتحت عيوني على عالم جديد لم اكـن اشعر به ٠٠ عندما كنت اراك ، كنت أحس بأنني خفيفة استطيع التحليق والطيران والوصول الى اي مكان اريد ٠٠ أحس بشيء يتساقط في داخلي ٠٠ شيء كالطوب ٠٠ كالهباب الاسود ٠٠ وينتابني شعور بالقـوة ٠ ٠ بالصمود ٠٠ بالتحدي ٠٠ لقد علمني صمودك الشيء الكثير ٠٠ علمتني أن اومن بالصمود ، ولكني عندمـا حاولت أن اجربه ٠٠ فشلت ٠٠ تحطمت ٠

هكذا حدث كل شيء وبكل بساطة ٠٠ وبدون مقدمات قصصية ، أو حبكات روائية ٠٠ وكان ما سوف يحدث هو شيء طبيعي لا يتطلب المقدمات أو التضخيم ٠٠ لقد تصورت بأنني سوف أسمع موسيقى تصويرية صاخبة تصاحب تلك الجملة ولكني لم أسمع شيئا ٠٠ بقيت أمي منحنية فوق الثوب ، وأخي الصغير يتدحرج في ارضيـة الغرفة ، والمذياع يلقي علينا اغنية مرحة ٠٠ سعيدة ٠٠ سعيدة ٠٠ وابي يقف أمامي ، يتحدث ببساطة وكان هذه الجملة افلتت منه دون أن يدري ــ آن الاوان ٠٠ استعدى لقد أعطيت كلمتي ٠٠ وسيأتي اليوم كي نتم كل شيء ٠!

اخي الصغير مازال يتدحرج في ارضية الغرفة ، وامي لا ترفع راسها ، والاغنية السعيدة لا تتوقف ليعلـن المذيع نبأ زلزال ارضي ٠٠ وحزمة الضوء في ارضيـة الغرفة تزحف هي الاخرى ببطء وكأن شيئا لم يحدث!!

أرجوك مرة أخرى ٠٠ لا تتوقف عن القراءة ٠٠ لا تقذف الورق بعيدا ٠٠ ألمح شبح ابتسامة ساخرة فوق شفتيك ٠٠ ارجوك ان لا تضحك ٠٠ دعني أكمل ٠ ٠ انا أعرف أن ما اقوله لا ينفع لشيء ، حتى ولا لقصة٠٠ وأي قصة هذه ٠٠ لقد جرب معظم القصاصون اقلامهم بروايات هزيلة من هذا النوع ٠٠ الروايات التقليدية٠٠ البنت التي يرغمونها على الزواج ٠٠ والنهايات التعيسة أحيانا ، والسعيدة أحيانا كثيرة ٠٠ هاها ٠٠

لم تستفيد من قصتي شيئا ٠٠ سيقذف بها رئيس التحرير في وجهك وينظر اليك بسخرية وحزن : قديمة يا أستاذ ٠٠ موضوعك مطروق ٠٠ فتش عن مواضيع جديدة ٠٠ !! ٠٠ ولكن مهلا ٠٠ ارجوك ان لا تدعه يفعل ذلك ٠٠ تكلم باسمي ٠٠ تكلم من أجلي ٠٠ قل له : لماذا يا حضرة الرئيس ٠٠ انها فعلا قصة جديدة لان صاحبتها لم تمارسها سوى مرة واحدة ٠٠ لقد قرأتها كثيرا وتاثرت بها ولكنها لم تعش بها مرة واحدة ٠٠ لم تحس بها ٠٠ لم تشعر بألمها ٠٠ واذا كانت يا حضرة الرئيس مطروقة وحلها موجود فلماذا تظهر دائما ٠٠ ؟ ٠٠ لماذا نعيش فيها دائما ٠٠ ؟ ٠٠ هل تكتب لي في بريد القراء ، لا توافقي ٠٠ اصمدي ٠٠ امتنعي ٠ ٠ هاهاها ٠٠ ؟! ارجوك ٠٠ لا تدعه يفعل ذلك ٠٠ انها من نوع الكلمات الهوجاء التي حدثتك عنها ٠٠ واي صمود ٠٠ وأي تحدي ٠٠ وأي امتناع ٠٠ ما اروع الصمود على صفحات الورق ٠٠ ما أروع التحدي الذي نمارسه بالكلمات والذي لا يتعدى دائرة التعبير بالكلمات ٠٠:

اخي العزيز

ربما كانت قصة سخيفة ٠٠ لا تستغرب ٠٠ هكذا كنت اشعر بها عندما كنت اقرأها او أسمع بها ٠٠ ولكني الان أشعر انها ليست سخيفة ٠٠ انها كبيرة ٠٠ ضخمة ٠٠ مخيفة ٠٠ مصيري يتقرر في جملة قصيرة ٠٠ كلماتها صغيرة ٠٠ قد تغير هذه الكلمات وجه التاريخ ٠٠ وجه مصيري لو أنها صيغت بطريقة اخرى لو تقدم الاسم او تأخر الضمير ٠٠ لكن الاسم لم يتقدم والضمير لم يتأخر وبقيت الجملة هي هي لا تتغير ٠٠ تصفعني بعنف ٠٠ تشعرني بأن حبلا يلتف حول عنقي ، يمتص روحي قطرة قطرة ٠

ـ اسمعي ٠٠ سيأتي اليوم ٠٠ أريدك ان تستقبليه!

هكذا قال أبي ٠٠ وعزت أمي رأسها ٠٠ واطرقت أنا ٠

ـ ابي ٠٠ أنا لا أريد الزواج ٠٠

ـ لا يهمني ماذا تريدين ، وانما ماذا تحتاجين ٠

ـ لكني لا أحتاج ٠

ـ قد تحتاجين في يوم من الايام ٠٠ !

ـ ولكن ليس الان ٠٠ !

ـ لا يهم٠٠ الفرق بيننا هو أحساسي بأنك ستحتاجين الى الزواج لذلك فقد كنت أسرع منك ٠

ـ ولكن ٠٠ أنا لا اريده ٠٠ لا ارغب في الزواج منه٠

قهقه والدي وهو ينظر نحو امي ٠

ـ ما تكرهينه اليوم ، قد تحبينه غدا ٠٠ انتظري الى الغد ٠٠ !

كانت أمي مبهورة ، تفتح فمها ببلاهة ٠٠ المرة الاولى التي يتعدى الحديث بيني وبينه السؤال والجواب المقتضب ٠٠ والدي لا يثور ولا يغضب ٠٠ يجيب بهدوء وكأنه يناقش احد اصدقائه ٠ أرتمي في حضن امي ، بالضبط مثلما أرى في الافلام أو اقرأ في الروايات ، اريد أن ابكي ٠٠ يخونني الدمع ٠٠ بضع قطرات من «الجلسرين» وتحل المشكلة ٠٠ بالضبط مثلما يحدث في الافلام ٠٠ لكن المخرج يريد دموعا حقيقية ، لان الموقف

يتطلب ذلك ·· لم أكن ابكي ·· أتدري لماذا ·· ؟ ·· لانه حتى ذلك الوقت لم أكن أصدق ·· هل يمكن أن الزوج بينما هو مازال ينتظرني ·· ذلك الحب الخجول في وجهه هل يمكن أن يموت ·· ذلك الشوق الهادىء الوقور في عينيه هل أتخلى عنه ·· ؟

ـ قد تمضي مدة طويلة دون أن أراك ··

ـ لكنني أراك دائما ·· وساظل أراك حتى ولو كنت بعيدا ·

ـ وانا كذلك ·· لكني أخاف ·· اخاف ان تتعود عيوننا على رؤية الاطياف ·

ـ لن تكون طيفا في حياتي ·· انك حقيقة ، وسأنتظرك دائما ·

ـ ليتني لا أفعل ·· ليتني ابقى هنا الى الابد

ـ تذكر ·· أنا التي ادفعك الى ذلك ·· أرجو ان لا نتخاذل في اللحظة الاخيرة ·· تأكد بأنني ساكون معك·

ـ من أجلك فقط ··

ـ كلا ·· انه من أجلنا ··

وتركني ومضى ·· وتعودت ان اراه دائما كما وعدته ·· تعودت أن احس بنظراته الوقورة الخجلى تتعثر امام عيني ·· كان الكل يعرف ·· حتى ذلك الشخص الاخر الذي يريدني ·· فهل يمكنهم أن يتجاهلوا ·· ؟؟؟ ·· هل يمكنهم أن يتجاهلوا حقي وحقه لانه بعيد ·· ؟؟ ·

هذه قصتي يا صديقي باختصار ·· اذا كنت تسمي هذه الاوراق المكدسة امامك اختصارا ·· هذه هي حقيقتي كما عريتها أمامك ، فماذا يمكنني ان أفعل ·· ماذا يمكنك أن تفعل من أجلي ·

اختك ·· م ··

يعود الاهتزاز ·· وغرفة الاعدام تطل علي من عتمة سحيقة ·· والصورة مازالت تهتز ·· يدي تقبض عليها بعنف ·· لا شيء يهتز ، وغرفة الاعدام تبدأ بالذوبان، والكلمات تطن في رأسي ·

اختي العزيزة ····

كلماتك تهزني من الاعماق ·· اشعر بشيء يتحطم في داخلي ·· شعلة الحياة المتوقدة اللاهبة يخنقها الصقيع ·· الدفء يطير والصقيع من حولنا يجمد كل شيء حتى عقولنا ·· أرادتنا تتجمد ·· لقد تصورت كل شيء ·· لقد توقعت كل شيء ولكنني لم أتوقع هذه الكلمات منك ·· لم أتوقع نظرة الحزن واليأس التي كانت تطل علي وانا استحضر صورتك امامي ·· وجهك الصغير ··انفك الصغير ·· يدك الصغيرة ·· كل شيء فيك صغير ، طفولي ، بريء ، هادىء ·· ذلك الجمال الذي يشع في عينيك بطهر ومحبة ، هل يمكن لهذه الملامح الهادئة المنسابة بروعة كالشلال أن تشعر بالحزن ·· هل يمكن لعينيك الجميلتين البريئتين ان تشعرا بوخز الدموع ـ لا اصدق ·· !

يصلبونك على الجدار ، ويقذفون الصديد في وجهك الرائع ·· احرقت «جان دارك» قبلك ، وانتحرت «جولييت» ، وماتت «ليلى» حزينة يائسة ·· والمقدسات·

× × ×

نعم ·· كان من المفروض ان تكون قصة ·· !!

لكنها رفضت ذلك في اللحظة الاخيرة ·· وبقيت قصتها يتيمة مبتورة ، تفتش عن نهاية ·· وتعلمت البطلة الصمود لترفض ارادة والدها ولتسحق ـ مع ذلك ـ الامل البعيد الذي سافر من اجلها ولتتهاوى في احضان جديدة ·

واصبحت كنقطة سوداء قذرة تلطخ مسطحا ابيض·· تحتضنها ارصفة الشوارع المليئة بالحشرات البشرية التي تفتش عن الحب بلا مبدأ ·

أما كلماتها فقد تحولت الى جثث باردة متعفنة تعبث فيها الارجل ولا تلتقطها أبدا ·

وعلى وجهها المتعب كوجه مومس عجوز مازالت تتغير الانفعالات والعواطف كما يتغير قميصها «المعرق» كل صباح ····

محمد أبو ريا ـ سخنين

نعيـــم عرايـــدي

قراءات في شعر ادونيس

قبيل ان ابدا بقراءة بعض انتاج علي أحمد سعيد لا بد ان الفت النظر الى لا علمية الكثير من مواقفنا والتي تنم في اكثر الاحيان عن عاطفة الموقف الشخصي من هذا وذاك ومن تلك وتلكم ..

كتب الاستاذ رجاء النقاش في احدى مقالاته عـــام ١٩٧٠ يقول : «.. من أجل هذا كله ، من أجل قيمة أدونيس وموهبته فان قضيته تستحق المناقشة وتستحق الاخذ والرد ..»

ولكنه كتب عددا من الصفحات في المقال المذكور عن ادونيس ولم يناقش قضيته ــ لا على المستوى الموضوعي المضموني ولا على المستوى الجمالي الفني ــ انما طالب ، واشار بنوع من العاطفة الا نناقش ادونيس عـــلى الصعيدين المذكورين . وفي نفس المقال كتب بضعـــة اسطر عن بدر شاكر السياب وكان موضوعهما واحد .

ورجاء النقاش ــ وان كان واحدا من احسن ناقدينا ــ يناقض نفسه في هذا المقال اذ يقول : «بعد ديوانـــه الاول **(قالت الارض)** لم يكن شعر ادونيس شعــــرا صاخبا ولا صريحا بل هو في اغلبه شعر يعتمد عـــلى الايحاء والرمز» اما شعره الصريح الصاخب فيعتـــرف رجاء النقاش انه هو الشعر الذي ضمه ديوانه الاول المذكور وهو الذي عبر فيه عن مواقفه عندما كان مرتبطا بحزب يقول عنه رجاء النقاش :

«وكان الهدف من قيام هذا الحزب هو ان يكون عنصرا من عناصر المساعدة على تمزيق الامة العربية وان يكون عائقا في طريق اى تطور مادى او فكرى نحـــو الوحدة العربية ..» وعن قيادات الحزب يقول : «ان قيادات الحزب كانت متصلةمن ناحية التمويل والتوجيه بالسلطات الاجنبية الاستعمارية..»

وكان هذا المقال ردا على «اصوات غاضبة» وان كان بعضها غير موضوعي امثال صالح جودت الذي غضب على ادونيس لانه «انتقل من الاسلام الى المسيحية» .. الى غير ذلك من لا علمية النقد . هنالك من يفصل بين الشكل والمضمون ، منهم من يركز على الشكل متناسيا المضمون (كالنقد البرجوازي الحديث) ومنهم من يأخذ المضمون دون التطرق الى الشكل وهذا هو النقــــد الواقعي السطحي .

ان المضمون يحدد الشكل ، وليس هناك من مضمون الا وكان شكله امتدادا لتطور التراث الادبي ــ لامة ما ــ وفقا للظروف التاريخية الموضوعية التي تعيشها الامة ، اللهم الا بعض الانحرافات التي تكون احيانا تقليدا اعمى لادب امة اخرى .

انه لمن الحماقة ان نحاسب الكاتب على الوجبات التي يتناولها يوميا ولمن السخف ان نعرف ان كان مسيحيا او شيعيا طالما هو عربي لا يستطيع ان يتخلى عن تاريخه وعن طبيعة وضعه التاريخي حتى وان اظهر ذلك . اننا عندما نقرأ انتاجا معينا فاننا نرى ما هو مكتوب فقط ، ونقيم هذا الانتاج ونحاسب صاحبه على ما هو مكتوب فقط . اننا نحاسبه على القيمة الانسانية وعلى الموقف الانساني الذي يتخذه بانتاجه تجاه العالم وتجـــاه الظروف التاريخية التي يمر بها .

ومن دلائل القساوة النقدية ان نقول عن اديب نازي انه يتمتع بذوق فنى رائع ولذا يجب ان نقيم هذا الفن تقويما ايجابيا . لذا ولكي لا اناقش ماهية الادب في هذا الاطار نقاشا اكاديمياوجدت ان اقرأ ــ ادونيـــس ــ واستخلص بعض الاستنتاجات بالنسبة لهذا الانتاج .

لقد صرخت نازك الملائكة في وجه الذين يمزقون غشاء آذاننا مطالبيننا ان نسمع ما ليست تستطيع سماعــه اذننا العربية . ومن لا يعرف معنى هذا القول لا يعرف

الشعب العربي ولا موسيقى شعره . فقد طالب بعضهم في الفترة التي اخذ الشعر العربي فيها يصقل شخصيته الحديثة وفق نسق التاريخ الحديث حسب نظرية النشوء والارتقاء ، طالبوا باسم الاصطلاحات التقدمية بثورة على القديم ناسين ان الثورة لها مفاهيمها الخاصة ـ الثورة من أجل شيء ما ، وليس بالثورة من أجل الثورة لا غير. انني عندما اقرأ الشعر الحديث الخالي من الايقـــاع والتفعيلة ، اجد انه مصطنع ، غير اصيل، خشن وجاف. ولا اعرف ان كان من القراء من يعرف غير ذلك .

ان هذا الشعر وان كان بعضه يكتب بخلفية ثقافيـة عالية ليس الا خواطر يستطيع ان يكتبها كل متقـرف ويستطيع ان يطبع كل اسبوع مجموعة ضخمة الحجم .

ان الفرق بين الشاعر والمثقف كالفرق بين الله والعالم (بكسر اللام) ، بالمعنى الادبي وليس بالمعنى الديني . فالله يخلق الانسان والعالم يخلق الانسان الالي ... والفرق بين الاثنين معروف بالطبع . هو الفرق بـين القصيدة المليئة بالروح (الشعرية) والخاطرة المليئـة بالالات .. كلمات وجمل . هو الفــرق بين القصة والربورتاج الصحفي . وهو الفرق بين المسرحيـــة الفلسفية والمقال الفلسفي .

هذا هو الفرق الذي وجدته عندما قرأت شعرالبياتي والسياب وانتاج ادونيس . فان كتابات ادونيـــس المسماة بالشعر ليست الا خواطر مشحونة بالفكـــر العميق . والفكر العميق اشبه بالالة الالكترونية منها الى الروح التي تفرق الانسان المخلوق عن الانــسان المصنوع .

نقطة اخرى اردت لفت النظر اليها هي الفرق الكبير بين ادونيس الباحث الناقد وادونيس الشاعر . لان ادونيس كاتب مثقف بمستوى علمي عالي وحبذا لو لا يكتب الشعر .

ان مطالعات ادونيس ومعرفته العالية بالتراث العربي لا تعني على اية حال انه ملتزم بها . فان المطالعـــة والمعرفة ، وخاصة معرفة التراث لهي واجب يتحتم على كل مثقف . كما وان ذكره لبعض اعلام التاريخ العربي لا تعني ايضا الالتزام باتجاههم وبفكرهم . لذا فان حجة رجاء النقاش تبقى تبريرا سطحيا غير مثبت من الناحية التحليلية العلمية . فان كل قارىء لادب ادونيس يعرف ما هو اتجاه هذا الادب ويعرف من اين **مادته مستقاه** .

رغم انه يبكي مقتل الحسين ويشجع اعمال عبد الرحمن الداخل تبين ـ وحسب ما جاء بمقال رجاء النقاش ـ ان ادونيس يبكي الحسين شيعيا ويمجد صقرقريش تمجيدا للقوة والتوسع لا غير . اما عن الموضوع الرئـيسي في كتابات ادونيس الشعرية :

يمكن الفصل في كتابات ادونيس بين ثلاث مراحل مضمونية وهي مرحلة **حدود الياس** ، مرحلة البحث عن المجهول ومرحلة **النبوة** .

والمرحلة الاولى هي مرحلة اللامعقول . مرحلة مأساة الوعي والادراك البشري وبمعنى اخر هي مرحلة العبث.

ان هذا المعنى للحياة او بالاحرى اللامعنى للحياة هو اتجاه الادب في القرن العشرين منذ بداية الفترة ما بين الحربين والذي يعتبر امتدادا لدوستويفسكي ونيتشـه وكيركجارد . ومن الناحية الظاهراتيه فهو مستمد من فلسفة هوسرل الفنومنولوجية . ان حـدود الـوعـي البشري تجعل الانسان يقف امام جدار ضخم لا يعرف ما وراءه (كامي والجدران العبثه) ومن ناحية اخرى ينظر الى عالم الواقع ويدرك **بان الوقائع لا يستطيع الانسان ان يغيرها** لان «الله قد مات» وما من مدبر لحـــياة الانسان :

ضيعتنا في التل شبابة/مصدورة اللحن/تغفو عـلى بحة انغامها/تغفو بلا جفن ./اطفالها نوافذ اغلقت/ في وجهها الارض/كانهم فيما يعانونه/ما رضعوا ثديا ولا عضوا ..

هذا هو مطلع **قصائد اولى** لادونيس وقصيدة اخرى تحكي عن الارضية التي تنبت فيها كتابات ادنيـــس (نفس المرجع صفحة ١٩) :

جوعان ، ارهقني المسير/وانفت قلبي . يا جوع ، سد علي دربي ./ حتى يقر بي المصير ./ متفسـخ القدمين ، مسلول الطريق ./ متيبس الاعماق والدم والعروق ./ امشي كمن يتقهقر ، وبحاله يتعثر ./

والقصائد مليئة بالقلق والحيرة ، بالانسان الجائـع العطش الذي لا يعرف المنهل العذب . يحوم ادونيس في عواصف اللاجدوى واللاشيئية وهو يقابل الاحزان والموت بالقبور . (نفس المصدر صفحة ٢٤) :

على حدود اليأس بيتي يقوم/كالزبد الاصفر جدرانه/ مجوف ، مخلخل كالغيوم/ ٠٠

ان الحروب التي خاضتها اوروبا وخاصة الحربين الكبريين فيها هددت النازية مستقبل البشرية جمعاء ٠ وجد الشاعر الاوروبي نفسه يعرف اليأس واللاجدوى، يعرف ان الله قد مات لان المجرمين يملأون العالم ومصيره بين يديهم ٠

في حالة نحن فيها في بداية الطريق نحو الاستقلال وجدنا شاعرنا يبتعد عن تاريخنا ليعيش المأساة الاوروبية (نفس المصدر صفحة ٣٧) :

قضيب من الثلج : نار ونبغ/وغيم ودخان/عوالم لا تنتهي ـ وهي تفنى/ ببضع ثواني ٠٠

لكن القصائد غير مرتبة بترتيب زمني او انها تكتب عند شاعرنا حسب المزاج فساعة يغوص في عالم اليأس وساعة في قمة التفاؤل :

غدا عندما بلادي تغني/ «انا الحب يؤثر عني/بوجهي محوت السوادا/ وصرت لكل بلاد بلادا ـ/فلم يبق في ارضنا ظلام ولم يبق شر ـ»/فقل انا حر ، وقل انت حر/ ٠

وان كنا لا نستطيع ان ننكر بعض المقاطع التفاؤلية في كتابات ادونيس الا ان الطابع العام لها مشؤوم مشحون بروح العبث واللا جدوى حيث الموت يرفرف بأجنحته ـ يا للاسف ـ كما ترفرف الحياة فوق هذه الدنيا (نفس المصدر ، صفحة ٨٩) :

كان اله الحب مذ كنت/ما يفعل الحب ، اذا مت ؟

وبعدها : (صفحة ٩٠)

يضمنا الموت الى صدره / مغامرا ، زاهدا/يحملنا سرا على سره/يجعل من كثرتنا واحدا ٠

وعلى حدود اليأس والموت يقف الكاتب امام الجدران العبثة باحثا عن المجهول ٠

والمجموعة التي اردت الوقوف عند قراءتها هي مجموعته **اغاني مهيار الدمشقي** وهي اغاني اللامعقول ٠

يتصف الشاعر بالصوفية ٠ الصوفية الحديثة ٠ ويعتبر شعره نزوات من الذهول الصوفي ٠ يرى نفسه رائيا ونبيا يعرف **حقيقة** الاشياء لا حقائقها ٠ يتأمل في الطقس الاولي للحياة ويعلن عن رؤيته الجوهر البدائي لها ٠٠ ميلادها الاول ، اي اسطورة التكوين ٠

لكنه لا يستطيع ان يفعل شيئا لانه كائن مخلوق وليس خالقا ٠ لا يستطيع ان يجعل الشمس «تشرق» غربا ولا يستطيع ان يمحو الكتب الدينية لان الانسان لن يصل مرة الى التنازل عن لزومها في حياته ٠ هذا بعيدا في عالم الخيال ولكن الواقع يجري كما هو ، وهنا يصطدم الشاعر باللامعقول حين يدرك مرة اخرى الجدران العبثة ـ كشاعر ـ وليس كأي مخلوق عادي ٠

فمنهم ، من الشعراء ، من ينعزل ويغرقه موج اليأس ، ومنهم من **يدرك** (بكل ما للكلمة من معنى) انه بشرى يستطيع ان يعمل في حدود المعقول والحياة الاجتماعية الكثير الكثير ، والا اخذه الضياع الذاتي الاناني وابتعد عن الشعب ذاهبا نحو العزلة الارهابية ٠

عندما تغنى اناكريون للسعادة والحب كان يعرف السعادة **ولم يكن الوجه الاخر لاغنياته وجه المأساة** وعندما تغنى مهيار اغنيات الحياة فكان يعرف الحياة ٠

اما مهيار القرن العشرين فهو مأساة الحياة البشرية ، مأساة العزلة والصعوبة في الاختيار ، انه مغنى الالحاد بحق البشر والحياة ٠ ان نزول الاله الى الارض البشرية ـ حسب الديانة المسيحية ـ لهو تحقيق الشخصية المجردة ، الشخصية التي طالما كانت وراء الطبيعة ٠ وموته الزمني من ناحية اخرى جاء ليكفر خطايا من لم يؤمن به ـ قبل وجوده ٠ وجاءت الكنيسة لتعلن انها تأخذ على عاتقها قضية «حرية الانسان» وهي المسؤولية الكبرى في الحياة البشرية ، فقد اتهمت الانسان بالخطيئة الكبرى (الاولى) واخذت عليها ان تكفر عن هذه الخطيئة متسلمة بيديها زمام المسؤولية ٠

وقد اختلفت الاتجاهات النصرانية بهذا الموضوع حيث ظهرت الطوائف المجددة التي رأت بعدم حقية الكنيسة على فعل ذلك ٠ الا ان انانية الانسان كانت اقوى من سلطة الكنيسة ، وجاءت الفتوحات العلمية والنهضة الثقافية وغيرت ما غيرت حتى ظهور نيتشة ليعلن «ان الله قد مات» وان الانسان هو اله نفسه ٠

وكثرت الاتجاهات ايضا هنا ، الا ان فلسفة نيتشة كان لها الاثر الكبير والذي ما زال يطبع النتاج الاوروبي والمتأثر منه بطابع العدمية الوجودية ٠في المجموعة المذكورة يقول ادونيس صفحة (٤٧) :

مات اله كان من هناك ،/يهبط ، من جمجمة السماء/ لربما في الذعر والهلاك/في اليأس في المتاه/يصعد من اعماقي الاله/لربما ، فالارض لي سرير وزوجة/ والعالم انحناء/

لكن نزول الاله الى الارض ومن ثم موته بعث الانسان الى عالم الضياع ٠ فاصبح هو المسؤول الاول والاخير عن وجوده وعن افعاله ٠ وهو الان بعدما كان يؤمن بان الله هو خالقه ، اخذ يدرك انه «قذف الى العالم» ، وما من مدبر له ٠ عليه اذن : اما ان يذهب الى عالم الضياع او يجعل من نفسه الها «وكنيسة» ، يخلق له قيمة الانسانية ويتسير بموجبها ٠

وفي المجموعة عناوين قصائد مهداة الى رواد هذه الحركة الشعرية وهذا الاتجاه اللامعقول : الى انسي الحاج ، الى فؤاد رفقه ، والى سعيد تقي الدين وغيرهم ٠

وقصيدة بعنوان «السقوط» مهداة الى انسي الحاج تعلمنا عن مدى تأثير الوجودية في نفس ادونيس ٠وهذه هنا وجودية البير كامو ٠ (صفحة ٥٠)

اعيش بين النار والطاعون/ مع لغتي ـ مع هذه العوالم الخرساء ٠/اعيش في حديقة التفاح والسماء/في الفرح الاول والقنوط/بين يدي جواد/ سيد ذلك الشجر الملعون/وسيد الثمار ،/اعيش بين الغيم والشرار/ في حجر يكبر ، في كتاب/يعلم الاسرار والسقوط ٠

فالسقوط هو عنوان رواية فلسفية لكامي يتحدث فيها الرجل اللامعقول ، والوجه الاخر هو السقوط من الجنة (حديقة التفاح) بسبب (الخطيئة الكبرى) التي جعلت حواء (الانانية والجنس) سببها ٠ ومعناها المجهول من حياة الانسان وهو المجهول اللامجدي ٠

اما الطاعون فهو عنوان كتاب البير كامي «حالة الحصار» ٠ انها بداية التمرد ضد اللامعقول في حياة الانسان ٠ والطاعون هو رمز للوباء المنتشر في حياتنا ٠

ومن هنا تأتي فكرة «الاختيار» الوجودية (سارتر) ٠ ان نختار هو واجبنا تجاه حريتنا ٠ ولا يمكن الا تختار٠ واذا اخترنا فعلينا تقع مسؤولية اختيارنا ٠ انا اخترنا الحياة حين لم ننتحر ولذا فعلينا تقع مسؤولية الخيار ٠

وقصيدة بعنوان «حوار» بين الوجه الاول لادونيس الشاعر والوجه الاخر له الا وهو (مهيار) تذكرني «بايفان» احدى شخصيات **الاخوة كارامازوف** لدوستويفسكي الذي يقع في حوار عنيف مع نفسه ٠ ان يختار بين وجود الله او بين موته ٠ والتناقض الكبير الذي يقع به هو انه يؤمن بالشيطان (انانيته) ولا يؤمن بالله ٠

لكن ادونيس يختار الاختيار الاول ولا يقع في حيرة ايفان ، الا انه يقع في الهاوية امام الجدار (هناك ، صفحة ٥١) :

٠٠ ـ لا الله اختار ولا الشيطان/ كلاهما جدار/ كلاهما يغلق لي عيني ٠٠

الا ان ادونيس يفاجئنا بمعرفة المجهول متحديا هذا الجدار ـ وبالطبع هذا هو الادعاء بالنبوة او الالوهية (نفس المصدر ، هناك)

هل ابدل الجدار بالجدار/وحيرتي حيرة من يضيء/ حيرة من يعرف كل شيء ٠

ومن هنا ينطلق ادونيس الى عالم ما وراء الجدار الى البدء والى سورة التكوين لينتظر الاله ٠ الاله الاخر اله الحقيقة ٠ وهو يذكرني بشياطين عبقر التي كانت تتلبس شعراءنا لتوحي لهم بالالهام الشعرى ٠ الا ان من يحسب للحظة ان الحقيقة التي يريدها ادونيس هي

غير حقيقة الشعر الشيطاني وغير العوالم التي يمكن ان توجد في الشعر فقط خيانة يقع في خطيئة كبرى لان العوالم التي يبحث عنها ادونيس هي عوالم اللامعقول انطلاقا من اللامعقول ايضا ٠ وهذه العوالم التي تبقى اسرارها وحلها في الكتب ايضا ٠ يقول (صفحة ٧٩) :

لم يبق لي الاك يا بلادي/ايتها الاسرار

(وقبلها في صفحة ٥٢) :

اعبر في كتابي/في موكب الصاعقة المضيئة/في موكب الصاعقة الخضراء ٠

لكي يعبر عن هذا المعقول فعليه حتما ان يطير الى عالم الاسطورة ، وهو ينتقي اساطير من بابل وفينيقيا واثينا لكي يستطيع ان يرسم عالم الخيال ٠ فالواقع المعاصر تخطى منذ مئات السنين هذه العوالم واخذ يجتهد ليتحرر في حدود الواقع والادراك البشري ٠ حين اعلن ماركس عن تأخر اللاواعي عند الانسان ذهب اعداء الماركسية (برجسون مثلا) الى ان اللاواعي عند الانسان يسبق الوعي بكثير ٠

وها هو شاعرنا يؤمن بالفكرة الاخره فيعيش الرموز والاساطير التي يكتب عنها ، في حين يستعملها الواقعيون كاستعارة ادبية لا غير ٠ وهو يفعل ذلك متحديا التاريخ والزمان ذاهبا في طريق اللازمان واللامكان ٠ هذه هي الفكرة التي استعملها ايضا بعض الشعراء والادباء البرجوازيين منهم والمنحرفين من غيرهم ٠ في كل فقرة من فقرات الكتاب يبدأ ادونيس بمزمور وهو بلا شك تأثر بالكتاب المقدس ٠ ففي صفحة (١١٩) يقول :

الهو مع بلادي ٠ المح مستقبلها اتيا في اهداب النعامة، اداعب تاريخها وايامها واسقط عليها صخرة صاعقة ٠ اطفيء مصابيحها واشعل النوافذ ، وفي الطرف الاخر من النهار ابدا تاريخها ٠ غريب عنكم انا وفي الطرف الاخر ٠ اسكن بلادا خاصة بي ، نافخا على السماء كي ارى رمادها ، وفي النوم واليقظة افتح برعما واعيش فيه ٠

هكذا يعيش ادونيس بعيدا عن التاريخ ، بعيدا عن الواقع ٠ عن شعبه وعن بلده ٠ وهو يعترف ان ارضه ووطنه «تسير مشلولة قربه» لكنه يتركها في حاله ،لغيره ليذهب هو في عالم الانانية قافزا عن الخطايا والاخطاء ولا يريد تحمل المسؤولية ليعرف كيف تصلح الاخطاء ونشيد ابنية وحرية ونشيد حياة وحبا كبيرين ٠ وذلك لانه ــ يعترف ايضا انه ــ (صفحة ١٤٧) :

ضال ضال ولن اعود ٠السقوط حالتي وشرطي ، الجنة نقيضي ٠٠

وهكذا اعترف انا ايضا انني لا استطيع في هذا الاطار الصغير الا ان ابين المفاتيح فقط لكتابة ادونيس ،وكتابته تحتاج الى دراسة واسعة النطاق تشمل جميع اطرافها لانها مليئة بالمواضيع ونقيضاتها ٠ بالحيرة والقلق ٠

الا ان شيئا واضحا في كتابة ادونيس وهو الهروب من الواقع الى عالم اللامعقول ومن ثم بناية عوالم خيالية تتنافى ورسالة الكاتب العربي في عصر خطير ، مليء بالمتناقضات وبحاجة الى الثورة الحقيقية وليس ثورة الكلمات والاشكال ٠

وقد كتب جلال العشرى عن ادونيس بحق يقول :

«تلك هي ابعاد الثورة الشعرية التي يعلن عنهاادونيس في كتابه الجديد ، ثورة من يبين لنا على اي شيء يثور لكنه لا يفصح في سبيل اى شيء يثور ٠ ثورة من يهتف بأعلى صوته قائلا «يسقط العالم» ولكنه **لا يستكمل** عبارته بقوله : «وانا ابنيه افضل مما هو الان» ٠٠

والذي يحاول اطلاق العنان عن هموم واشواق شعبه العربي لا يمكن في هذه الظروف بالذات ان يكون سلاحا لمواجهة العدو ايجابيا او سلبيا ولا يمكن في ان يكون صدى لروح عصره قبولا او رفضا ، ما دام لا يحتوى على اهم اساس من اسس التواصل بين الناس ٠٠ اساس انهم يتكلمون لغة واحدة ٠٠

البروفسور شموئيل موريه

الطابع الذاتي لقصص اسحاق بار ـ موشيه

ترجمة : محمود عباسي

وصلت الترجمات الانجليزية لانتاج كافكا الى العراق في الاربعينات من القرن الحالي ، بينما كان الادب الانجليزي والفرنسي قد ، صل آنذاك الى الشباب اليهود في العراق في مصدره الاول ، الامر الذي يسر على هؤلاء الشباب التعرف على الادب العالمي الشرقي والغربي ، عن طريق هاتين اللغتين ، فوجدوا في انتاج كافكا صدى للاجواء التى عاش فيها المواطنون اليهود في العراق خلال تلك السنوات المصيرية ٠

على اثر ثورة رشيد عالي الكيلاني ، واحداث سنة ١٩٤١ ، جاءت سنة ١٩٤٨ ، سنة قيام دولة اسرائيل ، لتجلب سلسلة جديدة من الاعتقالات واحكام الاعدام بحق مواطنين أبرياء من اليهود وغير اليهود ، وكثرت المحاكمات الصورية بتهم القيام بنشاط صهيوني ، او نشاط شيوعي وبتهم ملفقة اخرى ٠ وعكس كافكا بالنسبة لهؤلاء الشباب الاجواء التي عاش فيها اليهود ٠ وقد وجدوا هم أيضا في شخصيات كافكا شخصية اليهودي الحائر في القرن العشرين ، والذي يعيش بين شعب يقوده زعماء يسيرون في ركب النازية ٠

ذاق كثير من الشباب الذين اعتقلوا في العراق مرارة طعم الاجواء الموصوفة في **المحكمة** لفرانس كافكا ٠ فقد اعتقلوا بتهم ملفقة ، لمجرد كونهم يهودا ، وشاهدوا بأم اعينهم كيف تنهار الارض من تحت اقدام جالية عريقة ٠ بعد ان مرت عليها سنوات قاسيةمن الاضطهاد الاجتماعي والاقتصادي ، جاءت على اثر فترة طويلة من الازدهار والبروز في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ٠ اخذ الابناء يختفون فجاة ، وكان يظهر على اثر اختفائهم رسول من قبلهم يبلغ الاباء ان ابناءهم قد وصلوا الى اسرائيل ، او ان الاستخبارات العراقية كانت تأتي في اعقاب اعتقال الابن الذي لم يحالفه الحظ في القدوم الى اسرائيل ، فتعاني مثل هذه العائلة الكثير من جراء ذلك ٠

في نفس الفترة كثرت حركة اقالة الموظفين اليهود ، وازدادت الملاحقات ضد التجار منهم ، واعتقل صحفيون ومثقفون من بينهم ، وفي بعض الحالات تكررت اعتداءات الرعاع والصبية على المواطنين اليهود في الشوارع وفي الكنس ، فشعرت الجالية اليهودية في العراق بانهيار الارضية الصلبة التي تقف عليها ٠

هذه هي الخلفية النفسية لقصص اسحاق بارـموشيه الذي قدم الى البلاد في سنة ١٩٥٠ ٠ فقد كان عالمه يفتقر الى الامل ٠ والى المخرج ، فيما عدا عالم الخيال والاحلام والدنيا الآخره ٠

ترتكز قصص اسحاق بارـموشيه الى حد كبير على خلفية حياته الخاصة ٠ لذا فان بعض الملامح التي سنوردها من سيرته الذاتية ستعيننا على فهم الطابع الذاتي لعالمه القصصي ٠

ولد اسحاق بار موشيه في بغداد سنة ١٩٢٧ ، وتلقى تحصيله الابتدائي والثانوى في مدارسها اليهودية ، حيث انهى دراسته الثانوية في سنة ١٩٤٣ ٠ بعد ذلك درس في كلية الحقوق في بغداد خلال اربع سنوات (١٩٤٥ ـ ١٩٤٩) حيث تسنى له ابان تلك الفترة التعرف على كثير من اليساريين والصهيونيين العاملين في الحركات السرية المحظورة ٠ ومارس بارـموشيه آنذاك نظم الشعر وكتابة القصة القصيرة ، ونشر انتاجه باسم مستعار في الصحف العراقية القصيرة الاجل ، وذلك ليحول الانظار عن هويته اليهودية ٠

كانت هجرة يهود العراق الى اسرائيل ومن ضمنهم اسحاق بارـموشيه ، بمثابة هزة ارضية عنيفة ٠ فاللغة هنا جديدة ، والتقاليد جديدة ، والعقلية مختلفة والمناخ الانساني متنوع ٠ باختصار ، عالم يختلف كليا عن الاساليب الحياتية التي كانت سائدة لدى يهودالعراق ٠

قضى اسحاق بارموشيه فترة الاستيعاب الاولى في وظيفة ادارية في معامل تكرير البترول في حيفا · ثم انتقل سنة ١٩٥٨ ليعمل كمعلق سياسي ، في القسم العربي لدار الاذاعة الاسرائيلية · وتم تعيينه مديرا للقسم السياسي فيها سنة ١٩٦٣ · وكان ابان ذلك ينشر المقالات الصحفية في جريدة «جروزلم بوست» ويحرر زاوية «مختارات اجتماعية» لمجلة **الشرق الجديد** الفصلية التي تصدرها الجمعية الشرقية الاسرائيلية · وفي سنة ١٩٦٨ أسس بارموشيه صحيفة «الانباء» اليومية باللغة العربية ، وترأس تحريرها حتى ابريل سنة ١٩٧٠ · وفي نفس السنة عاد بارموشيه الى عمله كمدير للقسم السياسي في دار الاذاعة الاسرائيلية ، وقد تركت خلفية عمله وتجاربه في مختلف الوظائف ، والعلاقات بين المدراء والموظفين أثرا بارزا على انتاجه الادبي ·

حملت هجرة اليهود من العراق الى البلاد ، عددا كبيرا من الادباء والشعراء الشباب الموهوبين ، وساهم هؤلاء في انشاء واحياء ادب عربي جديد في البلاد ، في فترة عصيبة ترك فيها البلاد ادباء العرب البارزين فيما عدا بعض الادباء الشيوعيين ·

صحيح ان اتجاه انتاجهم الادبي كان يختلف نوعا ما عن تطلعات ومشاكل الادباء العرب الا ان هؤلاء الادباء اليهود شجعوا الادباء العرب على الكتابة ، وكانوا مصدرا لقراءة انتاجهم حين كانوا منقطعين عن العالم العربي كليا · وهكذا تلقت المجلة الادبية الشيوعية **«الجديد»** ، دعما معنويا وادبيا الى جانب المجلة الاسبوعية الهستدروتية **«حقيقة الامر»** ، والملحق الادبي الاسبوعي لصحيفة **«اليوم»** ·

ومع مرور الوقت أخذ الادباء اليهود يتحولون الى الادب العبري ، وانقطع بعضهم عن الكتابة باللغة العربية ، اذ انهم تفرغوا للكتابة بالعبرية فقط ، ومن بين هؤلاء شمعون بلاص ، وسامي ميخائيل (سمير مارد) وساسون سوميخ وشالوم الكاتب · وفي نفس الوقت استمر بعض الادباء اليهود في الكتابة باللغة العربية والعبرية ·

يتميز اسحاق بارموشيه بانه لم يكن نشيطا في مجال الادب العربي في الخمسينات ، رغم انه كان قبل ذلك من العاملين في المحافل الادبية في العراق · وقد عاود نشاطه الادبي بعد انقطاع دام اثنتين وعشرين سنة ، فاخذ يكتب وينشر باللغة العربية ، في حين تحول معظم زملائه اليهود خلال هذه المدة الى الكتابة باللغة العبرية ·

لم يكن انتاج بارموشيه على مستوى «الهواية» فقد فوجىء قراء العربية في اسرائيل بظهور اديب موهوب غير عادي ، يتقن فن القصة القصيرة بصورة رائعة ، ويكتشف عالما جديدا للنفس الانسانية ، ندر ان تطرق اليه الادباء العرب ، اذا استثنينا الكاتبين المصريين القبطيين مجيد طوبيا وادوار الخراط[1] ·

ان انتاج بارموشيه غزير للغاية ، يفوق بمستواه ، ادباء آخرين مارسوا الكتابة منذ سنوات عديدة · فقد أصدر منذ سنة ١٩٧٢ ثلاث مجموعات ، بمعدل مجموعة قصصية كل سنة تحتوي على مائتي صفحة على الاقل ·

كانت مجموعته الاولى مجموعة **وراء السور وقصص اخرى** اصدار مجلة **«الشرق»** ١٩٧٢ ·

اما المجموعة الثانية فهي مجموعة **الدب القطبي** وقد صدرت في القدس عن **«الشرق»** عام ١٩٧٣ ، وهناك المجموعة الثالثة **وقصة المطر** التي صدرت هي الاخرى في القدس عن **«الشرق»** عام ١٩٧٤ · ولدى بارموشيه مجموعة قصصية معدة للطبع تتناول موضوع العلاقات اليهودية ـ العربية في اسرائيل تحت عنوان **اسوار القدس** ، وقد صدر له مؤخرا كتاب يضم ذكريات حول يهود العراق في السنوات ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ تحت عنوان **الخروج من العراق** ·

استقبل القراء والنقاد العرب في اسرائيل المجموعات الثلاث التى صدرت حتى الآن، بحماس وتناولها بالتقريظ نقاد معروفون بالضفة الغربية ، الذين اعتبروا قصص اسحاق بارموشيه انجازا جديدا للادب العربي من ناحية الفحوى ، ومن ناحية المستوى الفني ·

يكشف اسحاق بارموشيه في قصصه طابعا جديدا هو بمثابة منحى جديد في الادب العربي ، ندر ان لجأ اليه ادباء آخرون في العالم العربي · فبينما كانت اهداف وغايات الادباء العرب في الماضي والحاضر تصوير

(١) راجع ايضا مقال شمعون بلاص في الشرق ـ العدد ٦ ـ ٨ ، السنة الرابعة ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ ، الصفحات ٣٧ ـ ٤٥ ·

الشخصية العربية المحلية او القروية او المدنية على آمالها ومشاكلها وتطلعاتها ومفاهيمها ، جاء بارموشيه وفتح نافذة امام القراء العرب في البلاد ، تطل على عالم الانسان النفسي الداخلي · ويمكن تقسيم هذا العالم الى ثلاثة مستويات :

الاول : عالم الطفولة الساذج ، المليء بالارواح والجن والقوى الخارقة ، حسب ما يمليه خيال الطفولة الخصب ، الذي يتخيل في الزوايا المظلمة والسراديب مخلوقات غريبة ، كالجنيات ، او استعادة ذكريات اشخاص تنكر لهم الدهر في جبهم الوفي لمعشوقاتهم اللائي يستغلهن الغير لغاياتهم المادية ·

الثاني : عالم الحب الذي ترمز فيه المرأة الى طيبة القلب والوفاء والاخلاص · والتي لا تستطيع – على الغالب – تفهم نفسية الرجل المزدوجة ·

الثالث : العلاقات الانسانية بين الناس الذين تعتور ضمائرهم وشخصياتهم جوانب غامضة ومظلمة ، تجعلهم حساسين ، يؤمنون بالعدالة الساذجة التي تدفعهم الى التمرد على الظلم الذي يحيق بالاخرين او يحيق بهم ، وتحملهم على توجيه تهمهم القاسية ضد المسؤولين عنهم، فيفقدون بذلك مصدر رزقهم ، او حتى حياتهم · بينما تلاحقهم احلام مزعجة بسبب تصرفاتهم او نتيجة تأنيب ضمائرهم على أثر خيانة او حب عنيف ·

من هنا فان القاسم المشترك لقصص بارموشيه هو الانفصام ، الانفصام بين العالم الذى يحيط بالانسان ، وبين عالمه النفسي الباطني او عالم الاحلام · او الانفصام النفسي الذي يؤدي الى انفصام شخصية بطل القصة ، والى صراع نفسي حاد او الى الشعور بالاضطهاد والارتياب والشك في الاخرين · لذا فان معظم ابطال قصص بارموشيه يتأرجحون بين حدود السلامة العقلية وبين الجنون ، بين الخيال والواقع ، بين الاحلام والهذيان ، بين الكابوس وضبابية المشاعر ·

على الرغم من الاطار القصصي الضيق لقصص بارموشيه ، فان كل قصة من قصصه تحتوي على صراع مأساوي يصبغها بميزة خاصة بها · فالصراع في قصص بارموشيه ، لم يخلق نتيجة مواقف متناقضة بين العاشق ومعشوقته ، أو بين الانسان والواقع ، او بين الانسان وزميل في العمل فحسب ، انما بين الانسان وبين نفسه قبل كل شيء ، او بين الانسان والجانب الغامض في «الانا» الذي يتفجر من خلال دافع غامض غير مقيد ، وبين الانسان والمجتمع ، بين الخيال والواقع المرير ، وبين تطلعات وميول متناقضة ·

نلمس في هذه القصص صراعا باطنيا ونزعات متناقضة على الغالب ، كما نلمس عزلة نفسية يعاني منها ابطال القصص الذين يعيشون داخل عوالمهم الخاصة المغلقة البائسة · ويدور الصراع بين رغبة الانسان ومصيره المرير ، صراع مع التقاليد ، مع المجتمع ، والاصدقاء او المعشوقة او الزملاء في لعمل · اما محور معظم قصص بارموشيه ، التي تشد القارىء ، فانه يدور حول قوى الظلام الكامنة في طوية نفس البطل ، والتي تعتبر على الغالب عاهة ترافقه منذ الولادة ، وتدور كذلك حول شعور الاضطهاد وانفصام الشخصية التي يعاني منها البطل دون ان يستطيع معرفة السبب · ويعترف ابطال القصص بالقوى المعادية لهم ، والعقبات التي تواجههم ، ويدركون انهم غير قادرين على التغلب عليها · لذا فان رد فعل ابطاله لحالات كهذه ، هو الهروب الى عالم الخيال ، او الانتقام من مجتمعهم او حتى من انفسهم · ويدرك بعض أبطال قصص بارموشيه نتائج اعمالهم الناجمةعن معارضتهم للعرف الاجتماعي او المسؤولين عنهم ، لكنهم مع ذلك ، يجرأون على كيل التهم ضدهم · وهم يهربون من المعاناة والعقاب القاسي الناجمينعن سذاجتهم وعجزهم عن التأقلم في المجتمع الذي يعيشون فيه ، الى عالم ساذج يشيدونه لانفسهم ، رغم انه ينبض بالحياة، ويبدو واقعيا اكثر مما هو في الواقع ، او انهم يهربون الى النساء الغريبات او المومسات اللائي يستطعن فهمهم بصورة افضل من البيئة التي يعيشون فيها ·

ان انعدام الامل لهو بمثابة ملجأ ، قرار حكم بالموت ، غير قابل للاستئناف ، يتقبله ابطال القصص بهدوء نفسي ، لان عالمهم الخيالي هو ملجؤهم الامين ، الذي يوفر لهم كل ما تصبو اليه انفسهم · لكن المشكلة ، هي ان عالم الاحلام الذي ينساق اليه ابطال القصص ، هو عالم كابوس وعذاب ، وهو الاداة التي يستعملها البطل لتعذيب نفسه بسبب تصرفاته · والاحلام في بعض القصص هي سلسلة من الاحلام الكابوسية المخيفة التي تتلاحق على البطل خلال نومه المزعج · اما الخنوع للقدر فهو بمثابة خنوع غامض ، او خنوع الانسان الشرقي للقدر المجهول · ومع ذلك فان الانسان فيقصص بارموشيه ، وحيد في صراعه وشاذ عن بيئته ومجتمعه·

انه وحيد في صراعه ، بلا ايمان ، بلا اله ، بلا دين ، وكل ما لديه هواجسه والقيم الساذجة التي حددها لنفسه .

ان طمس الواقع ، وخوارق الطبيعة يلعبان دورا هاما في بعض القصص ، بينما تعتبر قصص أخرى بمثابة رحلات نفسية لتيار الوعي او اللاوعي.

في مجموعته الاخيرة **رقصة القطر** ، نجد قصصا تخلو من الحركة الزمانية والمكانية ، ويبرز فيها التظاهر بما لا يكنه الانسان في باطنه ، بينما تجري جميع الاحداث في غرفة واحدة بطلين صديقين يعيشان نفس الطالبية الجامعية («الصديقان» ص ١٢١ ـ ١٤٨) . ان طريقة بارسوموتيه في عرض شخصياته وتطور الاحداث هي طريقة موضوعية تصويرية يكشف بها الابطال مزاياهم عن طريق تصرفاتهم ، وعن طريق الحوار ومناجاة النفس التي تدور مع «الاناء الذاتي للابطال او مع غيرهم .

يبرز الكاتب من خلال الحوار كفنان صاحب ذوق رابع ، وصاحب مقدرة في بناء حوار مقتضب مختصر ، يخفي اكثر مما يكشف ، لكنه يصور الشخصية من كافة جوانبها ومستوياتها وعيها ونزعاتها النفسية وهواجسها وانفصام شخصيتها ونزعة الارتياب التي تعاني منها هذه الشخصية ، لذا فان الكاتب يعبر عن احداث القصة من وجهة نظر بطل القصة . فالفتى يعاني من انفصام الشخصية ، وشعور الاضطهاد او الاضطرابات النفسية، يشك بما يحدث له ، فيأتي التعبير عن الاحداث زمنيا ومكانيا من خلال مشاعر البطل الضبابية ، حيث لا يعبر عن شيء مؤكد عنده .

يتميز اسلوب اسحاق بارسوموتيه بانه فريد من نوعه بين كتاب العربية في البلاد . ويبدو تأثر اللغة العبرية واضحا في كتاباته ، كما يبرز فيها احيانا تأثر اللغة العربية العامية التي يتكلمها يهود بغداد . ويظهر في اسلوبه ايضا تأثر اللغة الانجليزية ، بينما تطغى على الادباء العرب في اسرائيل وخارجها اللغة العامية حسب لهجاتها المحلية ، بالاضافة الى تأثير اللغة الانجليزية او الفرنسية . الا ان هذا الامر يثير استغرابا واهتماما بالنسبة للمتلقين باللغة العبرية . على اي حال يبدو ان تأثير اللغة العبرية قد تقلص في المجموعة الثالثة لقصص بارسوموتيه ، في الوقت الذي ازداد فيه تأثير اللغة العربية الفصحى في هذه القصص وربما كان ذلك نتيجة استسلام الكاتب لاراء النقاد العرب الا انه من الجدير

بالاشارة ان هذا الاسلوب ينطبق مع الطابع الذاتي للكاتب ، هذا الطابع الذي يتناول قبل كل شيء موضوع العلاقات الانسانية وبشكل خاص طبقة الموظفين واصحاب الياقات البيضاء ، دون صبغة محلية معينة .

ان بعض ابطال قصص بارسوموتيه هم اناس فقدوا التوازن في الحياة . فهم اشخاص ساذجون ، سمحاء عطالة ، يرفضون التسليم بأي ظلم حقيقي ، او وهمي معشش في مخيلاتهم المريضة ونزعة الارتياب التي يعانون منها . وقد يكون هذا الظلم موجها ضدهم او ضد انسان آخر . انهم يشعرون بان مسؤولية ازالة الامر ملقاة على عواتقهم ، حتى لو ادى هذا الامر الى تحطيم . يدرك بارسوموتيه تماما ان الثالثة الساذجة من القصص ان تكون في متناول اليد ، وهو يدرك ايضا ان العالم ليس ساذجا ، لذا فان المزايا الساذجة التي يتميز بها ابطال قصصه ، ليست الا مزايا شاذة ، تجلب عليهم الكوارث ، ولا ينجح هؤلاء الابطال في التنازل عن هذه المسؤولية والخضوع الى الواقع المرير الا في حالات نادرة فقط(٢) .

ان مجريات الاحداث في القصص هي مجريات نفسية باطنية ، لذا فان هذه القصص تفتقر الى حبكة فعلية والى تسلسل الاحداث ، وحتى المقاييس الزمنية والمكانية تبدو احيانا هامشية دون أن تكون لها قيمة تذكر .

هكذا نجد ان معظم الحوادث والعمليات القصصية تحدث خلال جزء من الثانية حسب مفاهيم الزمن الخارجية ان اسماء ابطال القصص ايضا ، اسماء خاصة ، وهي في معظمها حيادية ، اي انها اسماء مشتركة لليهود والعرب في البلاد العربية ، ولا تقع هذه الاسماء الى هوية دينية ، اي اسماء ينفرد بها المسلمون ، الا فيما ندر . وليست غاية الكاتب وصف جو محلي معين ، انما تصوير شخصية نموذجية لعائلة او مجتمع ما لا الى شخصيات قصصه ، شخصيات عامة يمكن ان تعيش في كل مكان وفي كل زمان .

من هنا فان غاية الكاتب ليست كتابة قصة ذات صبغة معينة تقربه من القارىء العربي كما فعل كثيرون من الادباء اليهود الذين كتبوا باللغة العربية ، كالراحل شالوول ، ويعقوب بلبول (لبيب) وسالوم درويش .

(٢) راجع قصة «ناسر والصبح» ، من مجموعة الحب القطبي ، ص ٩٨

ان حقيقة تقديم بارسوموتيه شخصيات ذات صبغة انسانية عامة ، دون ربطها ببلاد معينة ، يجعل استعمال اللغة العربية الفصحى في الحوار والمناجاة اداة طبيعية ، على عكس القصص التي تهدف الى تصوير شخصيات نموذجية او حركات قصصية ذات طابع محلي.

يتحدث الكاتب في قصته «مطاردة قصة»(٣) باسلوب ضمير الغائب عن محاولة المؤلف لوضع احاسيسه ومشاعره في قصة . ترمز هذه القصة في الواقع الى اضطراب وتردد بارسوموتيه نفسه في بلورة تجاربه واحساساته الادبية، ومحاولاته الفنية في وضعها على الورق .

يحلم بطل هذه القصة في كتابة قصة منذ ايام بعيدة ، زاخرة به تجارب واحساسات مختلفة ، ويعد حبيبته ان يكتب عنها قصة لا مثيل لها . الا ان الكلمات تتجمد ولا يستطيع مواصلة الكتابة ، وهكذا تتوالى عليه الايام في محاولات فجة ، حتى يغزو الشيب شعر رأسه . في كل يوم تقريبا يحتم ان الحظ يبتسم له ، وان معين الوحي يتفجر كتيار متدفق . وهكذا بدا اسحاق بارسوموتيه بنشر قصصه عندما بلغ الخامسة والاربعين من عمره . الا انه قبل ان يصل الى هذا العمر ، اي عندما كان في الثلاثين من عمره يجتاز الكاتب ازمة روحانية في حياته، يعبر عنها في قصته «الزاوية الثالثة»(٤) . حيث يبلور الكاتب وجهات نظره الفلسفية . ويبدو ان كل زاوية يجتازها الكاتب ترمز الى عقد واحد من حياته .

اما الجو الذي يحيط به فهو جو من الظلام المطلق يرمز الى الوحدة ويرمز الكاتب الى الجو الذي وجد البطل نفسه فيه ، بكراسي منحوتة في الصخور ، صفت بشكل دوائر ، كأنها قاعة في محكمة . يدرك بطل القصة عندما يصل الزاوية الثالثة فقط ، بان الانسان ليس حرا انما هو مقيد بقوانين والتزامات معينة . ويعبر الكاتب عن هذا الادراك في جو «كافكاي» ، يتمثل في سجن الانسان دون ذنب جناه ، لينقل الكاتب الى طقس الواقع .

... انبعثت ابدا قوية في الظلام عن يمينه ، وهو بصدد لا يرى احدا ، وقال صوت قوي في اذنه :
ـ انت من هذه اللحظة سجين لدينا

(٣) رابع ، وراء السور ، الصفحات ٣٦ ـ ٤١ .
(٤) وراء السور ، الصفحات ٤٧ ـ ٥٢ .

ـ من انتم ؟
ـ لا ترد على اسئلتك ، ستكون عندنا في امان تام ، ولذلك سجين .
ـ لم اقترف اي ذنب ..
ـ ليس هذا مهم ، ليس كل سجين مذنب .
ـ نحن في بلد حر ، والناس لا يقبض عليهم بدون جريمة
ـ انت الان في ايدينا ، حكاية البلد الحر ليس معنا يعنيه . (٥)

يحاول بطل القصة ان يثور ويتمرد ، الا ان الاصوات تأمره بالامتثال للاوامر :

ان تستطيع ان تتحرك الا كما نحرك ، ولكن المهم ان تكون قويا فريد الطاعة ، نريد منك الاستسلام التام بدون قيد او شرط .

تقوده الايدي الى كرسي منحوت بالصخر ، والى جانبها سلم ينزل منه الى باطن الارض . هناك يشرعون في التحقيق معه . وفي اللحظة التي انهى بها درجات السلم اختفت وضاعت مع اول قيد وهو يبحث عنها في السابق تحت قبة السماء ، ويستغرب بطل القصة ، هل ان الامر كله حدث خلال ثوان ام لا ؟

الايدي المجهولة تظل تشده على ساعديه ، وتعود الاصوات لتبلغه بان هناك : «انسان تحدد كل خطوة من خطواته السدود والقيود والانظمة والقوانين يقول في نفس الوقت انه حر . وانسان آخر يعرف ان الحرية اختفت وضاعت مع اول قيد يجب وهو يبحث عنها في النجوم ، من من الاثنين حر ؟» .

لكل انسان مجال الاختيار في ان يعيش في نطاق ضيق من الحرية الحقيقية ، او ان يعيش في شعور الضياع الدائم حتى آخر ايام حياته ، الى ان يكون انسانا يعاني من انفصام الشخصية ويتصرف بشكل معين . ويشعر مع ذلك ان تصرفه غير سليم وغير طبيعي ، تبلغ الاصوات بطل القصة ، بان كل انسان مستعبد ، لكنه حر في نطاق دائرة ضيقة فقط ، ولا بد ان يستسلم كل انسان لهذه الحقائق (٦) . وعندما يحس الانسان بهذه القيود يقاومها اولا ، ثم يعتاد على هذه الحقائق القاسية . يعبر بارسوموتيه عن اكتشافه لحقائق الحياة هذه وحرية الانسان النسبية

(٥) م.ن ، الصفحات ٦٣ ـ ٦٤ .
(٦) م.ن ، ص ٦٩ .

وهو في سن الثلاثين ، عن طريق تجربة جارحة ، كي يتخلص من التعبير المباشر لمشاعره بصورة ساذجة . ومن هنا نستنتج سبب معاناة ابطال قصصه من انفصام الشخصية وشعور الاضطهاد . الا انهم لا يستطيعون الحياة في نطاق ضيق للحرية ، مع كل ما ينطوي عليه هذا الامر من قيود ومن مسؤولية .

عالم الطفولة

عالم الطفولة عند اسحاق بارسوموتيه ، عالم غامض تلعب فيه الجنيات دورا هاما ، ان التجارب التي مر فيها الكاتب في طفولته تركز على ذكرياته من تلك الايام ، وهي ذكريات ممزوجة باحساسات الخوف التي يواجهها البطل بشجاعة وعناد ، رغم الخوف الذي يتملكه ، ورغم تحذير الآخرين له .

صحيح ان الكاتب لا يطلعنا على المدينة او الحي اللذين وقعت فيهما هذه الاحداث ، الا ان القارىء يستطيع ان يحس بالجو الخاص بالمدينة الشرقية ، ذات البيوت الكبيرة ، والسراديب المظلمة ، والزوايا المعتمة ، والدهاليز التي تؤدي الى سطوح المنازل ، كما هو الحال في البلدة القديمة ببغداد ، والاوهام الخيالية التي يمكن ان تثيرها مثل هذه البيوت في مخيلة طفل صغير فضولي .

يعرض لنا الكاتب في هذه القصص عالم طفل يتردد على مسامعه ، صباح مساء ، ذكر الجنيات والشياطين والارواح ، حيث يحذرونه منها في البيوت ذات الزوايا المعتمة ، التي يثير فيها كل ظل او كل حركة خيال وهواجس الاطفال .

ثمة قصتان في مجموعة **وراء السور** ، تتناولان هذه الظاهرة ، وهما «الدار المهجورة» (ص ١٥١ ـ ١٦٦) ، و«السرداب» (ص ١٦٧ ـ ١٧٨) . يسود في القصة الاولى عنصر الخوارق ، وعالم الغيب . مما يمنح القصة صبغة غامضة ومثيرة .

يتلقى القاص مكالمة هاتفية غامضة ، من صديق لسنة منذ ايام الطفولة تعيده الى ذكريات مغامرة اشترك بها الاثنان عندما دخلوا الى منزل مهجور في طفولتهما ، كان قد حظر الدخول اليه حظرا باتا . يندفع الفضول

الطفلان الى النزول الى القبو المعتم ، حيث يتغلبان على معارضة الحارس الغامض من الشرقي ، الذي حاول منعهما من الدخول الى الدار المهجورة .

يلتقي الطفلان في داخل الدار المهجورة مع جنيات غاريات رائعات الجمال والتكوين ، تتقدم من القاص اجملهن وتقبله (ص ١٦٢) :

كيف عرفت انها جنية ؟ شكلها سحر ، عيونها اوسع من عيون جميع البشر ، نهداها لونان والظل في صدرها ، تشبه الثلج ، شعرها يسير ورسها ، ويشاهد على جانبي جسدها اجنحتها طويلة ، سحبت له سبابتها من بعيد كأنها هي تريد منه ، وقالا سبابتها على شفتيه مباشرة .

بعد تبادل القبل والاحتضان تطلب منه الجنية ان يعود الى ابيه حالا . وعندما يعود الاثنان الى ساحة المدرسة يكتشف القاص ظاهرة مدهشة ، وهي ان كل هذا الحادث لم يستغرق اكثر من ثوان معدودة الا انهما عندما عادوا الى ساحة المدرسة كان احد المتصارعين التي سقط عندما نزلا السلم يقوم عن الارض . مما يدل على ان الوقت الذي استغرقته الحادثة جرى في جزء من الثانية .

ان الجو الغامض لا يفارق القارىء حتى انتهاء القصة ولا يعرف القاص اسم الصديق الذي كالمه هاتفيا لحسب انما ينهي القصة بصورة تشد القارىء اكثر مما شدته في البداية ، اذ ان كل هذه المحادثات الطويلة مع صديقه واستعادة الذكريات لم يستغرقا اكثر من ثوان معدودة ، اذ يبدا للقاص ان عقارب الساعة قد توقفت على الساعة التاسعة ولم تتحرك ، كما يعود طيف الجنية ليظهر خلال لحظة خاطفة وهي تسدد اليه سبابتها ، وتضعها على شفتيه مباشرة .

تمر على سكان البيت في قصة «السرداب» تجربة من الخوف والرعب عندما كانوا ينزلون الى السرداب لاحضار الحطب . كانت الجدة وغيرها تقول ان السرداب مسكن جنية . تنطق محاولة القاص عندما كان في العاشرة من عمره ، في النزول الى السرداب ليتأكد فيما اذا كان مسكنه جنية ام لا . الا انه عندما ينزل درجتين او ثلاث يحس بان شيئا ما يداعب ظهر يده اليمنى ، فيتلاشى ويعود ادراجه ويوقف مغامرته .

بعد عدة سنوات ، عندما اصبح القاص طالبا في كلية الحقوق ، وامر بتطبيق على سيرة الوالد الفاضل ، يقرر النزول الى السرداب ، عندما كان البيت خاليا ، حتى يتأكد نهائيا من وجود جنية فيه .

قرر ان يعبر سد الظل الذي يحتله الحطب لهذا ، القوم الظلام يحيط حتى وان نهاية كومة الحطب . وفجأة رآها ، كانت تجلس فوق الحطب ومعها الواحدة ، [illegible] ، جسمها كان [illegible] الظلام الا انه كان باهرة ووضوح ، صعق لرؤيتها وجمد في مكانه ، شعر ان جسمه تكاد ترتجف من مفاجأتها ، تجمد جسمه وتوقفت حركة عقله ، [illegible] يقطر من وجهه ويغسل [illegible] ، وجوارحه ، وينقلب بعد ذلك ويحمل الهواء من حوله الى شعلة [illegible] من التوتر العنيف . هذا هو نور الظلام فقط . [illegible] هذا البريق القصير المنبعث من [illegible] تستطيع ان يرى على ضوء [illegible] كل جسمها . هل كان الجسم جسم طفلة ام جسم امرأة كاملة ؟ التناسق الرائع في جسدها كان يمثل شيئا يفوق كل حدود الجمال الذي عرفه [illegible] ، فقيل اليه انها حركت احدى يديها . وفجأة اختفت كما ظهرت . [illegible] الظلام الدامس في السرداب مرة اخرى (ص ١٧٧) .

يشتد التوتر وعدم اليقين حتى نهاية القصة التي تنتهي بقرار بطل القصة النزول الى السرداب وحده ، ولا يعلمنا القاص فيما اذا كان قد شاهد الجنية مرة ثانية ، او ان كل ما شاهده كان مجرد هلوسة او توهمات خيالية او واقع . الا اننا مع ذلك نشعر في الحالة النفسية ذاتها ، التي تدفع الانسان الى تكرار التجربة سببت له متعة او ربما كان ذلك مجرد تجربة للقاء كان مع فتاة وقع في حبها .

تعتبر قصة «ابو نعيمة» (ص ١٢٢ ـ ١٢٨) القصة الوحيدة في المجموعة الثانية **الحب القطبي** التي ترتكز على خلفية من ذكريات الطفولة ، وهي بمثابة حلقة وصل بين عالم الطفولة ، وعالم الحب والعلاقات الانسانية عند الكاتب . يروي لنا الكاتب في هذه القصة عن ذكريات طفولته .

ويبرز في هذه القصة القدر الظالم الذي حدد شخصية بطل القصة ، بائع الثلج قصير القامة والهيئة الحقيرة وصارخ ، وهي هيئة لا تمكنه من اقامة زوجة . ويحب شيف امرأة اسمها نعيمة سمي باسمها وبسبب تنكر القدر له يرفض والدا نعيمة تزويجه منها .

يجد البطل ملجأ من هذا الحب الخائب في عالم الاحلام والرؤيا الاخرى لاسمها وذكرها الى حد يرفض معه ان ينادي باسم غير اسم ابو نعيمة .

يستغل مستخدمو محه الوطني الساذج ويستخدمونه باسم حبيبته لحمله على قبول اجر قليل . فيقبل ويوافق مرغما لان «اسمها فوق الايمان ، انها فوق الكتب والصحف» (ص ١٢٧) .

وعندما يزداد شعوره بالظلم الذي يلحق به ، يخاطب طيفها بصوت عال وفي مناجاة تمزق الافئدة ، ويخاطبها كأنها قريبة منه ، في غيبوبة ، اشبه بغيبوبة مناجاة المتعبد الورع مع خالقه .

هذا هو ملجأه الوحيد من عالم الواقع المرير ، ازاء القدر الغاشم الذي لم يرحمه . بل سلط عليه خلال سنوات عديدة حب امرأة من طبقة اخرى تزوجت شخصا آخر . ان عالم الخيال والاحلام الذي يعيشه يمنحه قوة الاستمرارية والحياة رغم الواقع المرير ، وسخرية الاولاد ، واستغلال الناس الذي لهذه الحقيقة .

عـالم الحب

ان عالم الخيال والاحلام الذي يعتبر ملجأ للبطل الخائب ليس الا واقعية من عالم الواقع بالنسبة لابطال القصص .

يمكن العثور على هذا العالم الذي يكون المحور في قصص الحب عند بارسوموتيه ، في قصة «منيرة» ايضا باسم عشيقة بطل هذه القصة في مجموعة **وراء السور** (ص ٥ ـ ٢٠) . فالهلوسة والاحلام والهواجس تتداخل وتغير الكلام معقول ، وتعكس الحالة النفسية للشاب الذي تسافر محبوبته الى خارج البلاد كي تكمل تحصيلها ، بعد أن يرفض والداها تزويجه منها ، بسبب الفوارق الطبقية بينهما .

عندما يعود هذا الشاب من المطار بعد ان تسافر محبوبته ، يفاجأ بانتظارها له على الاريكة في بيته ، حيث تعلمه بانها احتالت على والديها ، وادعت انها مسافرة للخارج ، كي تعود اليه .

تؤدي العلاقات بطل القصة من سفر محبوبته ومن ثم عودتها اليه الى شعوره بالتعب والارهاق فيطلق الى

جانبها ، بينما تقض مضجعه سلسلة من الاحلام المروعة السريعة ، والمنفصلة عن بعضها ٠

أخيرا ينهض بطل القصة من نومه ليفتح الباب الى صديق جاء يعوده ، ويتذكر ان صديقته نائمة على الاريكة ٠ فيتذكر احلامه ويروح يبحث عنها في انحاء الشقة وهو يصيح «أين انت» ؟

شخصية المرأة في قصص بارموشيه شخصية ايجابية على الغالب ، فالمرأة في هذه القصص رفيقة ، غير معقده، على عكس الرجال ٠ وهي تحاول تفهم الرجل ومساعدته وترقب مبادرته ٠ وشخصية المرأة عادة ، هي شخصية، العاشقة او المعشوقة ، الزوجة ، الصديقة او حتى المومس التي يجد البطل بين أحضانها ملجأ من حيرته النفسية(٧) وهي احيانا شخصية المظلومة ٠ فالرجل لا يتردد حتى في استغلال عانس تنكر لها القدر بما لا يقل عن تنكره له : «اما هي فكانت يائسة مثله ، من الناس ومن الازواج ، ومن الاصحاب ، ومن المستغلين المنتفعين الذين يحاولون استغفالها دائما» (٨) ٠

في قصة «طريق الظلال» (ص ٩٩ ـ ١١٢) ، التي تعالج موضوع الحب ، وتنتمي الى القصص التي يتحول فيها عالم الواقع الى استحالة لوضع نفسي فيه انتقال من الواقع الى طمس واقع احساسات نفسيه ، يقرر بطل القصة في نهايتها الزواج من صديقته ٠

يأخذ هذا القرار مفهوما رمزيا يتجلى في رغبة بطل القصة اجتياز واد مغطى بالاشجار المتشابكة كي يقصر الطريق الى بيت محبوبته ٠ يضل بطل القصة طريقه في الوادي ـ وهذا رمز لحيرته النفسية ـ وحينذاك تصل الى مسامعه أصوات غامضة لامرأة غير مرئية ، مع انه كان يحس بشفتيها وجسمها وانفاسها وهي تصافح وجهه ٠ تقرأ له صاحبة الصوت افكاره ، وتثير المحادثة معها ومغازلتها له مشاعره واحساساته ٠ في نهاية الامر تدله صاحبة الصوت على اتجاه بيت محبوبته ، وعندما يلتقى بها يبلغها قراره بالزواج منها متى شاءت ٠

(٧) راجع مثلا قصة «البحث عن لاراء» من مجموعة «الدب القطبي ، الصفحات ١٤٨ ـ ١٥٤ ٠

(٨) الدب القطبي ، قصة «المطرود» ، ص ١٧٦ ٠

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما الذي يريد بارموشيه ان يعبر عنه هنا ؟

يجوز ان الحاجة النفسية والجسمانية التي أحس بها بطل القصة تجاه المرأة ، اي امرأة ، تحولت عند بارموشيه الى طمس واقع النزعة الجنسية كتلك المقابلة مع الصوت النسائي الناعم بين الاشجار المتشابكة في «الوادي» (رمز جنسي) ، حيث يؤدي هذا الدافع الجنسي العنيف الى اسراع البطل في طلب يد صديقته ٠ ولا يتوفر رمز واضح عن الغاية الحقيقية التي رمى اليها البطل ، وثمة امكانيات لتفسيرات عديدة ، كما يطيب لهوى خيال القارئ» ٠

ان تقدير البطل لشخصية المرأة وايمانه بقدسية الرباط الزوجي ، على اي حال ، يقودانه الى كابوس مزعج حين يشتهي صديقة زوجته ويمارس معها علاقات جنسية ، ويأخذ الصراع الازدواجي نتيجة لذلك شكل كابوس ، تكشف فيه المحبوبة في خلال حلم ، سرها وتبلغ زوجته بخيانة زوجها ٠ يدفع هذا الكابوس بطل القصة الى الهرب في اليوم التالي من المدينة في «سفرة الى الخارج» (٩) ٠

تظهر طيبة قلب المرأة في قصة «عقدة الحياة» (١٠) أيضا حيث تفكر الفتاة بنزوات حبيبها وتصرفاته التي تكشف ملامح الشعور بالاضطهاد ، لكنها تلقي التبعة على نفسها لانها أغضبته ، وربما لم تفهمه تماما ، وهي تأمل ان يعود اليها ٠

عالم العلاقات الانسانية

تحاك العلاقات الانسانية عادة في المكاتب ، وبين مختلف فئات الموظفين ، ويدور محور الصراع على الغالب، بين الموظف الصغير الساذج ، الذي يناصر العداله ، وبين مديره الظالم الذي يستغل مستخدميه (١١) ، او بين فئة

(٩) راجع ، الدب القطبي ، الصفحات ٩٣ ـ ١١٠ ٠

(١٠) ن٠م٠ ، الصفحات ٣١ ـ ٤٢ ٠

(١١) راجع قصة «العدالة العمياء» ، من مجموعة الدب القطبي ، الصفحات ١١١ ـ ١٢٢ ٠ وقصة «المطرود» ، ن٠م٠ ، الصفحات ١٦٩ ـ ١٨٢ ٠

من الموظفين الذين يفلحون في الانسجام مع الواقع ومع المجتمع اكثر من غيرهم ، بسبب المام هذه الفئة باصول التعامل في المجتمع ·

يعاني الموظف عادة من انفصام الشخصية او دافع الارتباك والشك وشعور الاضطهاد ، لذا فان عالم الموظفين هو عالم كابوس وشر ، يسرق فيه المدراء ويزنون على حساب مستخدميهم ·

نجد في هذه الفئة من القصص تشابها مع عالم كافكا· حيث يعيش الانسان في حيرة ، ويجد في عالم الخيال مخرجه الوحيد · انه يعيش في حيرة هزلية ، ولا ينسجم مع اصدقائه او مع مستخدميه او حتى مع نفسه، فتتحول الحياة الى دوامة تسد الطريق في وجه الانسان الذي يحاول ان يجد مكانه في مجتمع فاسد يستغل الغير ، وينصب له الفخ ، كي يصبح غنيا ، او كي يرتقي سلم المجد على حساب الاخرين ·

الموظف الصغير في بعض القصص مضطهد ، يتنكر له المجتمع ، وينكل به دونما ذنب جناه ، بل بسبب استقامته · زملاؤه في العمل يذلونه ويهينون كرامته ، ويتآمرون عليه وعلى جهوده في اصلاح الاعوجاج ، وعلى معاناته ، كل ذلك في سبيل القضاء عليه ، دون أن يدرك هو لماذا يعاملونه بمثل هذه الوحشية ·

يطالب ابطال القصص بالعدالة والنزاهة بسذاجة وعناد ، ويثورون على الظلم الذي يرونه في المجتمع الذي يعيشون فيه ، او في البيئة المحيطة بهم ، او في المكاتب التي يعملون بها ، لذا فانهم لا يصغون لنصائح زملائهم وأقربائهم الذين يحذرونهم من التدخل في شؤون لا تعنيهم · ويعيش بعض الابطال باحساس توقع حدوث أمر غريب ، كأنهم يشعرون بمصيبة تلوح في الافق ، او انهم يعانون من شعور الاضطهاد المستمر ، ويسعون الى الانتقام من المجتمع الذي يضطهدهم وينكل بهم ·

يعيش الموظف في قصة «الجنازة» [١٢] في عالم وهمي ، حيث يحصل عن طريق الخيال على الاشياء التي لم يفلح في الحصول عليها في الواقع · قلبه مفعم بالكراهية المريرة ضد الكون بأسره · لقد مل كل شيء ووصل الى حد لم يعد يبالي معه ان يموت او يقتل الشخص الذي سبب له هذه الآلام · لم يثر به موت انسان مكروه كهذه أي انفعال ، اذ ان موته او قتله في نظره هو أمر طبيعي ، فهذا الشخص المجرم بالنسبة اليه ، قد قتل او مات حتى قبل ان يولد او ان يعيش · كانت ولادته في الواقع أمرا سخيفا للغاية لا يوجد له تفسير منطقي ، فهي سخافة مؤذية ومصيبة كبرى · [١٣] لقد مات هذا الشخص بالنسبة له منذ وقت طويل ، وانتشرت رائحة جيفته الكريهة في كل مكان · كان يجب ان يدفن حتى قبل تبليغه الاشعار بموته ، والدعوة للمشاركة في جنازته · هذا هو مجرى تفكير انسان عانى من الاضهاد · اذ ان عدم مقدرته على الرد على الظلم الذي احاق به ، يثير مشاعره ، ولا يسبب له موت خصمه سرورا أو حتى شماته ·

يبدع الكاتب في قصة «انفصام» [١٤] بتصويره عالم موظف كهذا يعاني من انفصام الشخصية ومن التمزق بين عالم الواقع وعالم الخيال · اذ انه يصور هذا العالم من وجهة نظر البطل بصورة موضوعية تترك أثرها العميق على القارىء · فمن سخرية القدر انه ولد باحساسات مفرطة · زملاؤه في العمل يستغلونه ويلاحقونه ، وينزلون به الاذى ، بسبب تفوقه عليهم من ناحية مهنية وثقافية ، فيدفعه شعور الاضطهاد الى أحضان الجنون :

> وضعوا في يده مهمات ضخمة ، لم وضعوا من حوله عقبات هائلة · جاءوا به من مامن بيته الى جهنم · سخروا منه ، قالوا له ستكون في المهمة الفلانية ملك لا مرد لارادته ولما ادار وجهه سمعهم يخنقون ضحكاتهم · انهم يسخرون منه سرا · انهم يعملون على ايذائه بكل وسيلة ممكنة (١٥) ·

هكذا يتهامس عليه زملاؤه في العمل ، ويسددون اليه نظرات الحقد ويتغامزون عليه ، ويلقون أوراقه وابحاثه في سلة المهملات ، كل ذلك من أجل ايذائه واذلاله ·

ينكل به المجتمع الانساني الغاشم تنكيلا روحانيا ، ويحاول تحطيمه · وهو كفرد مضطهد لم يجن أي ذنب، لا يشعر بانتمائه الى هذا المجتمع · ومن خلال يأسه يبدأ بالشكوى أمام كل من يصادفه في طريقه عن الظلم

(١٢) وراء السور ، الصفحات ٥١ ــ ٥٦ ·
(١٣) ن·م· ، ص ٥٣ ·
(١٤) ن·م· ، الصفحات ٧٣ ــ ٨٤ ·
(١٥) ن·م· ، ص ٧٥ ·

الذي احاق به . وأخيرا عندما يخيل له ان أحد زملائه يسخر منه بابتسامة خفية ، يهجم عليه ويشتمه ويضربه ضربا مبرحا . في المستشفى يزداد شعور الاضطهاد لديه ، وتبوء جميع محاولاته للعودة الى المكتب للانتقام من خصومه بالفشل . لكنه يفلح بالهرب من الحراس الذين كلفوا بحراسته ، ويستلقي تحت دولاب سيارة القمامة الواقفة في ساحة المستشفى . ثم يضع رأسه تحت الدولاب وعندما ترجع السيارة الى الوراء تفجر جمجمته ، فينتقم بهذه الطريقة من المجتمع الغاشم الذي اضطهده طوال الوقت بدون هوادة او رحمة .

يصور الكاتب في قصته «الحارس» (١٦) معاملة المجتمع الوحشية واضطهاده للناس السذج والمستقيمين بسبب انتمائهم الديني العرقي او الاجتماعي . ففي هذه القصة يلفظ المجتمع من وسطه اصحاب الضمائر الحيه ، الذين لا يفلحون في تسوية الامور مع بيئتهم عن طريق التزلف والرياء .

يعرض الكاتب في هذه القصة شخصية نموذجية لانسان يشعر بان الناس يعاملونه على نقيض القاعدة القائلة بان كل انسان بريء حتى تثبت عليه التهمة . انما هو يشعر عكس ذلك ، أي ان المجتمع الذي يعيش فيه يعامله على اساس قاعدة تقول بأن الانسان متهم طالما لم تثبت براءته . نلاحظ في هذه القصة ان يد القدر هي التي تحدد لكل انسان مكانته وطريقه في الحياة (١٧) اذ يقع الانسان ضحية بين ايدي المجتمع الذي يضطهده حتى النهاية .

ويشفق البطل على صديقه الذي : «كان .... من الذين لا يعرفون الجريمة لانه لا يصدق ان احدا من الناس يمكن ان يرتكب جريمة . الا انه وقع تحت رحمة رئيس من نوع خاص من ذلك النوع الذي يعتبر وجود شخص سليم النية حسن الطويه غير مريض باللؤم وحب السرقة ، سبة موجهة ضده ، كان يراقب تطور العلاقات بين زميله وبين المدير من بعيد ويعرف ان جريمة قتل بطيئة ترتكب تحت سمعه وبصره وباستمرار وخلال كل ساعة من ساعات النهار» (١٨) .

(١٦) ن.م. الصفحات ٨٥ ــ ٩٨

(١٧) ن.م. ص ٩٢

(١٨) ن.م. ص ٩١

ينذر بطل القصة زميله في العمل ويحذره من مؤامرات المدير ، الا أن زميله يبدي لا مبالاه حتى يدركه الموت ذات يوم . فيرثيه المدير ، وبعد انتهاء مراسيم الجنازة يبقى بطل القصة الى جانب القبر . وهنا ينتقل الكاتب الى طمس واقع حالة بطله النفسية وتتحول القصة الى مستوى الخوارق الطبيعية ، اذ يقوم رفيقه الميت من قبره فجاة ، اثناء وقوفه الى جانب القبر ، ويدور بينهما الحديث التالي :

- انت مازلت هنا ؟ ماذا وقوفك وكلهم عادوا ؟
- لا اعرف ، لم يجرفني تيار العائدين فبقيت ، هل انت حي الان ؟
- حي تماما ، لاول مرة اشعر انني حيث يجب ان اكون
- موتك احزن الجميع ، هل سمعت خطبة المدير ؟
- نعم ، اتعتقد انه كان يبالغ ؟ عادة يبالغ الناس وهم يكيلون المدائح للاموات ، مهمتهم سهلة . الميت لا يستطيع ان يقول لهم : امتنعوا عن ذلك .
- ولكن المدير كان ينافق اعرف انه كان يعذبك ويسيء اليك .
- وماذا في ذلك ؟ لقد خلق لهذه المهمة .
- اظن انه كان السبب في مرضك و ... وفاتك .
- سخف وهراء .. مت عندما حل اجلي فقط . لم يقسم لي في الحياة يوم واحد بالاضافة الى الايام التي عشتها . (١٩) .

من هنا يظهر الايمان بالقدر ، وبأن مصير كل انسان مقدر سلفا . فهناك أناس كتب عليهم الذل ، وآخرون خلقوا لاضطهاد الغير . ويدور الحوار بين الشخصيتين الرئيسيتين في القصة ، في جو المقابر ، حيث يصور يار ــ موشيه هذا الجو بصورة فنية تشد القارىء شدا. فالميت وصديقه يجلسان على حافة القبر المحفور بين الاشجار ، وخلال حديث الميت الى صديقه ، تحلق اشباح الاموات من قبورها ، بين فينة وأخرى لتحية القمر .

يجمل الكاتب رأيه عن الحكام والمحكومين ، وعن الظلم والعدالة من خلال الحوار التالي بين بطل القصة الساذج ، وبين صديقه الذي مات نتيجة الظلم الذي أحاق به من مديره ، وهو يعترف بدور المدير الذي خلق من أجل الحاق الظلم به ، وبانه راض بهذا القضاء :

«هل اقنط من العدالة ؟» ويرد عليه صديقه الميت : «العدالة يصنعها الناس ، انها تخدم من يحسن استخدامها ، مثل

(١٩) ن.م. ص ٩٥

القانون، واخيرا يبلغ الميت صديقه بانه اصبح بعد موته حرا وحيا ، بينما الناس الاحياء اموات يسيرون على الارض (٢٠) ٠

وبهذا يعكس بارموشيه ايمانه بالآخرة ، ووجهة نظر المظلومين المضطهدين ، ويشرح مفهوم ايمانهم في الآخرة التي تعج كلها بالخير ٠

يسخر بارموشيه من مفهوم العدالة أيضا في قصته «سجين وسجان» (٢١) ، ويرى فيه مفهوما نسبيا ٠

يعتقد الكاتب ان زج انسان في السجن ، بسبب قتله انسانا يحبه ، بعد ان كان يعاني من مرض عضال ، ويطلب منه ان يريحه من عناء المرض ، هو أمر غير معقول ٠ ان وجهة النظر هذه ناجمة عن ايمان الكاتب بان الانسان لا يستطيع ان يحكم على اناس مثله ٠ وتعرض مجريات احداث هذه القصة من وجهة نظر بطلها أيضا ٠ من هنا فاننا نستطيع ان ندرك من خلال مجريات احداثها ومن وجهة نظر بطلها فقط بان امامنا مجرم يعاني من مرض النسيان ، ولا يتذكر سبب وجوده في السجن ٠ وهكذا يفهم بان سبب هروب بطل القصة ن المجتمع البشري الى غياهب السجن ناجم عن : «قبضة الحجر الاصم الذي يشبه قبضة وحوش الغاب التي فر منها» ٠

ليس الانسان والمجتمع البشري وحدهما متوحشين ، انما يعاني البطل من عذاب النفس ٠ لذا فانه يستطيع ان يميز «الانا» الثاني الذي في داخله ، والذي يصطرع معه آلاف المرات كل يوم ، ويستفزه مرات لا حصر لها في كل ساعة ٠ وهو لا يجد راحته حتى وهو بين احضان الطبيعة بعيدا عن الناس ، لاعتقاده بأن كل شيء في الدنيا يحمل الاذى والضرر ، وحتى صخور الصحارى قد تكون أداة تحطيم وأذى ٠ من هنا فهو يشعر بانه يتمتع بمزيد من الحرية وهو في داخل السجن ، لانه معفي من ضرورة الحفاظ على أمنه ، والتزود باحتياجاته، وهو متحرر من الهموم والمشاكل ، لان العالم خارج السجن ، هو في الواقع مصدر الهموم والمصائب ٠ (٢٢)

هناك صفات أخرى يتميز بها بطل قصة «سجين وسجان» مشتركة مع سائر أبطال قصص بارموشيه ٠ واعني بها الحساسية المفرطة ، والمقدرة على رؤية الجوانب السلبية للاشياء فقط ، الامر الذي يثير غيظهم وحزنهم معا ٠ وبطل هذه القصة أيضا ، حائر ، مرتبك وبائس ، الحيرة والعبودية بالنسبة اليه اسمان لمسمى واحد (٢٣) ٠ أما سائر ابطال قصص بارموشيه فانهم يفلحون في الهروب الى عالم الخيال والهواجس ، حيث يجدون فيه ملجأ أمينا من البيئة البشرية الوحشية ٠ الا ان البطل في هذه القصة ، لم يستطع فعل ذلك ، فكانت جدران السجن ملجؤه الوحيد ، حيث يشعر هناك بالطمانينة والهدوء ٠ يثير هذا الهدوء وهذه الطمانينة حسد أحد السجانين ، فيقترح عليه ان يتبادلا كل مكان الاخر ، ليصبح السجان سجينا ، وليصبح السجين سجانا ، يستطيع الهرب من السجن ٠

يهز هذا الاقتراح كيان السجين ، ويعيده الى شجونه وذكرياته ، فيتذكر زوجته المريضة ، التي طلبت منه ان ينقذها من معاناتها وآلامها المريره ، فيخنقها ، فيزج به الى غياهب السجن نتيجة ذلك ، او ربما خيل له هكذا ٠ يوافق السجين أخيرا على اقتراح السجان ، ولكنه وهو في طريقه الى خارج السجن ، يلقى القبض عليه ثانية ٠ فينال السجين عقوبة السجن ، بتهمة الارتشاء ، ويقتنع القضاة بان حكمهم السابق على السجين كان حكما عادلا ٠

تحتوي مجموعة اسحاق بارموشيه الثانية **الدب القطبي** على قصص كثيرة تتناول موضوع العلاقات الانسانية ٠ ويعاني ابطال هذه القصص ايضا من انفصام الشخصية ، ومن الحساسية النفسية المفرطة ، ومن شعور الاضطهاد ٠ ففي قصة «الخوف» (٢٤) يعيش بطل القصة باحساس قدري بان كارثة ما ستحل عليه ، وهو يعيش تحت تأثير مرض القلب او تعاطي المخدرات ، تأثير لا يعرف كنهه حتى البطل ذاته ٠ ويتجلى تأثير المرض او تعاطي المخدرات ، بنبضات القلب ، ويختلط الغثيان والواقع والحلم ، في حياة البطل الى حد يشعر معه بانعدام التناسق بين عالمه الباطني والظاهري ٠ فبينما

(٢٠) تتكرر هذه الفكرة في قصته «قربة الاحرار» ، في مجموعته **الدب القطبي** ، لكنها مفصلة اكثر في المصدر السابق ص ٩٧ ٠

(٢١) **وراء السور** ، الصفحات ١٣٣ ـ ١٥٠ ٠

(٢٢) **ن٠م٠** ، ص ١٣٦

(٢٣) **ن٠م٠** ، ص ١٣٧ ٠ يعرب بطل قصة «عقدة الحياة» ، (**الدب القطبي** ، ص ٤٣) عن نفس الاراء ، ويعتقد هذا البطل : «ان من يسير الدنيا هم الاشرار فقط» ٠

(٢٤) **الدب القطبي** ، الصفحات ٥ ـ ١٦

تثير ازهار الربيع مشاعره ، يحس وهو في بيته بأنه يحلق بين الغيوم ، بينما تعدو عقارب الساعة الى الوراء والى الامام • تذكره هذه الاشياء بموعيد لقائه مع محبوبته ، فيهرع الى بيتها ، وعندما يطرق بابها يفاجأ بانه يقف حافيا • يذهله هذا الامر كثيرا فيفيق من نومه • وبعد ان تتملكه مشاعر غريبة ومخاوف شتى ، يذهب الى بيت محبوبته فيصل قبل الموعد المحدد ، بعد ان كان يخشى من وصوله متأخرا • تبعث المشاعر التي أثارها اللقاء والحديث مع محبوبته ذكريات الازهار البرية ثانية في مخيلته ، فتثور أحاسيسه ، فيجرؤ على التحديق في عيني صديقته بينما تزداد ضربات قلبه • ثم يفاجأ بصديقته تعرب له عن أمنيتها بان يتأخر الضيوف ، وهكذا تسبب النظرات التي يتبادلانها ازدياد ضربات قلبه بصورة جنونية •

يعالج الكاتب في قصص أخرى حالات ارتباك وخجل بطل القصة أمام المرأة • ففي قصة «الغـروب» (٢٥) • يعيش البطل في عالم الاحلام • وهو يعاني من أزمة حادة مع بيئته ، وعندما يلتقي مع صديقته يتذكر «انها عاشت معه في احلامه الليلة الماضية ، ولم تشاركه فيها» •

يجعل هذا الادراك بطل القصة يشعر ان عالمه الباطني عالم حقيقي بالنسبة له ، لكنه غير واقعي بالنسبة للآخرين • وعندما يكشف لصديقته عن العلاقات التي جمعتهما في الحلم ، تدرك هي انه يحبها ، فتزول جميع الحواجز بينهما ويصبحان صديقين حميمين • وهكذا تدرك ان الفوارق بين الواقع وبين الحلم مطموسة بالنسبة لهما •

يطور بعض أبطال قصص بار-موشيه نظرية خاصة بهم ، تتعلق بمفهوم العلاقات بين الناس ، فبينما يعتقد بطل قصة «السجين والسجان» ، بان وظيفة كل انسان في الوجود الحاق اكبر مقدار ممكن من الاذى بالاخرين واتعس المخلوقات في هذه الدنيا هم اولئك الذين لا يسلمون بهذه الحقيقة ، لذا يحكم عليهم بالابادة قبل الاخرين (٢٦) ، يعتقد بطل قصة «عقدة الحياة» بان الاشرار وحدهم هم الذين يسيرون العالم (٢٧) • وأن ،

(٢٥) الدب القطبي ، الصفحات ١٧ ـ ٣٠
(٢٦) وراء السور ، ص ١٣٧ •
(٢٧) الدب القطبي ، ص ٣٤ •

«الاشرار الصغار هم الذين يمكنون الاشرار الكبار من الوصول الى مراتب القوة» (٢٨) • والعلاقات بين الموظفين في المكاتب ، بالنسبة الى بطل هذه القصة ، قاسية ومصابة بالتفسخ لانها ترتكز على النفاق كوسيلة للتقدم والحصول على درجة أعلى • اما الانسان المستقيم وصاحب الضمير الحي فيترتب عليه ان يظهر نفاقا ويستنكر هذا النفاق أمام الجميع في نفس الوقت (٢٩) •

يتمسك بطل قصة «باسم والشيخ» (٣٠) • بوجهة النظر هذه ، من هنا فان انهياره النفسي يتجلى في هذه القصة من وجهة نظر باطنية • ويأخذ هذا الانهيار شكل هوس بالعدالة • لكننا لا نتأكد فيما اذا كان الموظف الثاني واحدا من الاشرار ، وفيما اذا كان في الواقع قد سرق المشروع • وان رفض المدير التصديق على تصاميم زميله الموظف ، هو على أي حال ، اهانة لبطل القصة : «كانت تبعث فيه شعورا من الالم الذي لا يشبهه أي ألم أحس به حتى الآن ••• فقد شعر دون ان يفهم لماذا ، ان الصفعة وجهت له وانه يرى أمامه جريمة قتل ترتكب ببرودة دم لا مثيل لها ••••• هو حكم بالاعدام على شخص بريء وحكم بتسجيل تركة باسم من لا يستحقها» (٣١) •

يأخذ الغضب العنيف الذي يشل بطل القصة شكل هلوسة :

اراد ان يقول له ـ لا ـ فلم تخرج الكلمة • اراد ان يرد يده كالساحر فاذا بالشيخ يختفي عن الدنيا ويصبح كلامه وكانه لم يقل • اراد ان ينفخ في وجهه فاذا بالوجه الشمعي يتناثر ويتطاير في الهواء ، ولا يبقى له من اثر • اراد ان يقول له اختف ••• فيختفي ولا يراه احد بعد ذلك •• اراد ، بعد ان شعر الا شيء من ذلك يحدث ، ان يضرب الارض بقدمه فاذا بالارض تتشقق وتتفكك وتتناثر وتنحل وتنهار اجزاؤها في الفضاء ، وتتمزق شذر مذر • اراد ان يرتفع في الهواء ليبصق على الدنيا كلها بصقة من نار • الا انه لم يستطع عمل شيء من ذلك • ظلت الدنيا قائمة ، ظل المكتب الكبير يطالعه وكانه مقصلة قطع عليها راس انسان قبل دقائق ، ظل الشيخ المأفون ينظر اليه بعينين ميتتين وكأنه يقول شيئا عاديا لا ظلم فيه ولا عار (٣٢) •

(٢٨) ن•م• ، ص ٣٦ •
(٢٩) ن•م• ، ص ٣٧ •
(٣٠) الدب القطبي ، الصفحات ٦٥ ـ ٧٨
(٣١) ن•م• ، ص ٦٨ •
(٣٢) ن•م• ، ص ٦٩

لذلك قرر بطل القصة أن يشرح لصديقه مدى الظلم الذي الحقه به المدير ، الا ان صديقه ينكر هذا الظلم ويشرح له موقفه من الحياة ٠

المجموع قطيع بشري ، بما تراه انت غير مقبول ، وقد يراه الاخرون كذلك غير مقبول ، يصبح بالتعود وبمرور الزمن مقبولا ٠٠٠٠ واجبي هنا هو ان اقوم بواجبي فقط ٠٠٠ الدنيا التي نعيش فيها هي سلة مهملات كبيرة (٣٣)

تصدم هذه اللامبالاة في الرد بطل القصة وبعمق ، اكثر مما صدمته ، تصرفات المدير ، مما يؤدي الى شعوره بالفراغ والتعقد ، ولكن الفراغ والخيبة يهدئانه أخيرا فيقرر أن ينظر الى جميع ما حدث في المكتب نظرة تسامح ٠

يعتبر المكتب بالنسبة للكاتب بمثابة صورة نموذجية لما يحدث في هذه الحياة ٠ فليس الانسان وحدة غير متجزئة كما يبدو او كما يتظاهر ، انما هو وحدة مفككه ومنحله ٠

ان معظم الناس يعانون في الواقع ، من انفصام خفي للشخصية ٠ ويعبر الكاتب عن وجهة نظره هذه في قصة «رواية الحياة» (٣٤) ، المكتوبة بضمير المتكلم ، حيث يتناول قصة صديق سلم للكاتب مسودة رواية كي يبدي رأيه فيها ٠ تعاني جميع الشخصيات في الرواية من انفصام الشخصية ، كما تختلف كليا تصرفاتهم في حياتهم الخاصة عن تصرفاتهم في حياتهم العامة ٠

فالرجل المتدين الورع الذي يشمئز من السرقة ، يسرق من مكتبه الاقلام لاولاده ، والعاشق الذي يقبل فتاته قبلات بريئة تداعب مخيلته حولها احلام جنسية مثيرة ، والفتاة الخجولة تحلم بأنها تتعرى امام صديقها ، والام الورعه تحلم بما يقوم به الجار مع الجارة تحت جنح الظلام ٠ هكذا نجد جميع الابطال منطوين على أنفسهم يقاومون تيارا لا قبل لهم به ، بينما عنصر انفصام الشخصية عندهم حاد جدا رغم مظهرهم الجاد : «فاذا بنا نراهم يسرقون ويزنون ويجرمون ويحافظون على تكاملهم في الظاهر ٠ أحدهم أغوى فتاة في الرابعة عشرة من عمرها فقام بمضاجعتها بطريقة لا تعرضه للطائلة القانونية ، ولكنها تستجيب لاعمق غرائز تلك الفتاة ولاغرب غرائزه هو ٠ وظل بعد الغواية يعود الى داره فينام الى جوار امرأته كأحسن الرجال اخلاصا ٠ آخر كان يصلي ثم يميل ميلا جنسيا الى صبي في ضمن الجماعة ٠ ثالث كان من أنجح الموظفين وأكفاهم ولكنه كان سارقا ، ولم افهم حتى نهاية الرواية يحلم بالسرقة ويشتهيها ويميل اليها ام أنه كان يمارسها بالفعل» (٣٥) ٠

الى غير ذلك من انحرافات وتصرفات غير اخلاقية ، تكشف آراء كاتبنا عن ازدواجية النفس الانسانية ٠

صورة متغيرة لموضوع واحد

الى جانب عالم الطفولة ، وعالم الحب ، وعالم العلاقات الانسانية التي تحاك في المكاتب خاصة ، نجد ثلاثة أنواع أخرى من القصص ٠

النوع الاول : يدور حول المكانة التي تحتلها ذكريات عزيزة في الحياة العائلية او المجموعة الانسانية ٠

النوع الثاني : تعالج حالات خيبة امل الانسان ، الذي يبحث عن شيء يعلم حتما بوجوده ولا يعثر عليه ٠

اما النوع الثالث : فانه يتناول موضوع انتقاد التصرف الانساني ، حيث يعبر عنه الكاتب عن طريق الجماد ، أي عن طريق استعمال البديل الموضوعي ٠ وتجدر الاشارة الى ان كل نوع من هذه الانواع مكون من قصتين تحتويان على نفس الفكرة بشكل مختلف ، الا انه من الصعب تمييز هذا الاختلاف ٠

تنتمي قصة «عودة محبوب» (٣٦) ٠ الى النوع الاول ، وهي تشير الى اسم ولد كان محبوبا عند والديه ٠ اما القصة الموازية لها فهي قصة «الاشاعة» (٣٧) ٠ من المجموعة الاخيرة ٠

تتناول القصة الاولى موضوع حب والدين لابنهما البكر المدلل الذي سقط من سلم الدار وهو في السابعة من عمره ، ففقد حياته ٠ يمر الموت والذكريات بحالة من

(٣٣) ن٠م٠ ، ص ٧٣

(٣٤) **الدب القطبي** ، الصفحات ٧٩ ــ ٩٢ ٠

(٣٥) ن٠م٠ ، الصفحات ٨٦ ــ ٨٧ ٠

(٣٦) **وراء السور** ، الصفحات ١١٣ ــ ١٣٢

(٣٧) **رقصة المطر** ، الصفحات ٩ ــ ٢٨

طمس الواقع ، ويعبر عنهما الكاتب من خلال احداث خارقة • لا يتخذ الكاتب موقفا بالنسبة لكيفية سقوط محبوب وموته ، ويفسح لنا مجالات متنوعة للتخمين ، فيضفي بذلك جوا مشبعا بالخوارق :

ولكنه سقط من سلم الدار بشكل غير منتظر • عثر بشيء ما كما يظهر • امسكت يده بالحاجز فالتوى جسمه اولا ثم انهار الى الامام وسقط • ضرب راسه بدرجات السلم مرات عديدة كما يبدو (٣٨) •

بعد اسبوع من المعالجة يتوفى الطفل • ويصبح فراق الروح عن الجسد أمرا ماديا ملموسا بالنسبة للكاتب :

ومنذ تلك اللحظة ، ارتفع محبوب الى سقف الغرفة ، واتخذ لنفسه مكانا عند اطار الشباك الذي يشرف منه على عالمه الصغير (٣٩) •

من مكانه هناك يشاهد جسده المسجى على الفراش ، وأمه التي كانت تبكي وتولول ، والجيران الذين يتهافتون على غرفته ويحيطون بفراشه • وعندما يشاهد والده وهو يدخل الى الغرفة ، يقفز من الشباك ويحط على ذراعه ، الا ان الاب لم يشعر بوجوده • وعندما تبكيه امه ثانية يجلس في حضنها ولكنها لم تشعر به (٤٠) • «حينذاك يئس محبوب ، فارتفع مرة أخرى الى اعلى الشباك حزينا خائب الامل» • ومنذ هذه اللحظة تأخذ جميع الذكريات شكل خوارق طبيعية • يعيش محبوب طوال الوقت مع عائلته ، في البيت ، في الشارع ، في مكان العمل وفي كل محل يوجدون فيه • أي ان العائلة تتذكر الابن البكر الميت في كل مناسبة • ويحاول محبوب ان يجذب اليه انتباه ابناء عائلته بشتى الطرق ، الا انهم لا يشعرون به • وعندما تحمل الام من جديد تشترط على زوجها تسمية المولود الجديد اذا ولد ذكرا ، باسم محبوب ، أي باسم ابنهم البكر الذي مات •

كثير من مجريات الاحداث في حياة العائلة تتطابق مع رغبات محبوب ، رغم ان ابناء عائلته لا يستطيعون سماعه او الشعور به • ترى هل ثمة توارد خواطر بين الميت وأحبابه ، يدفعهم الى التصرف على نحو ما ؟

طلب مرة الى والدته ان تقرا له بصوت عال ، فلم تسمعه بالطبع ••• وكان والدته شعرت به هذه المرة وفهمت ما يريد اخذت كتابا ودخلت غرفته واغلقت الباب دونه • الا انه نفذ قبلها من الباب المغلق واضطجع في سريره تماما كما كان يضطجع يوم وفاته • اخذ يقلب صفحات الكتاب دون ان يفتحه وهو بعد في يدها فعلم انها ستقرا له القصة التي كانت قد جاءت بها عندما طلب اليها ان تقرا له قبل موته بدقائق (٤١) •

مرة اراد ان يتصفح كتابا ، فهبت الريح وفتحت الصفحات من ذاتها • ومرة اراد ان يرفع منديل ابيه ، الا ان الاب مد يده وتناول المنديل • واراد مرة ان يحرك صورته ، الا ان الريح هبت وحركتها • تضع الام مولودا جديدا تسميه محبوبا على اسم أخيه الميت • وكان الابن البكر يتتبع نمو شقيقه بعطف ومحبة ، ويتعقب نضوج أخيه ومحادثات الوالدين عنه وزياراتهم قبره ، وبكائهم عليه ، وكان يستغرب أشد الاستغراب ، كيف انهم لا يحسون به ولا يشعرون انه قريب منهم •

وأخيرا وبعد ان يشيخ الوالدان ويتزوج شقيقه وشقيقاته يباع البيت ، وحينذاك فقط ، أي بعد ان تركوا البيت الذي كان يذكرهم بالميت ، وبعد ان نسوه كليا ، يسمع صوتا سماويا يناديه ليصعد اليه • «رفع يده الى يد غير مرئية ، كانت تمتد اليه ، وغادر البيت الى أعلى ، الى مكان آخر ، بعيدا بعيدا الى غير رجعة (٤٢)»

تتكرر هذه الفكرة ذاتها في قصة «الاشاعة» الا ان المؤلف هنا لا يستعمل لدى ذكر الفتاة المختفية طريقة طمس الواقع ، ولا يحدث أي شيء خارق للطبيعة • ونحن لا ندرك في الواقع فيما اذا كانت هذه الفتاة قد ماتت ، ولا نعلم سبب اختفائها • لان جميع الاخبار التي تذكر لنا ، منقولة عن أناس آخرين ، حسب اشاعات او تخمينات غير مؤكدة •

وكل ما نستطيع معرفته من مروجي الاشاعات هو انها علقت بشاب ظل لا يبالي بها ، ثم اختفت من البلدة • وتقول الاشاعات انها انتحرت ، او انها تتعلم في البيت وتعيش في عزلة ، او انها مريضة ، او ربما اصيبت بخلل في عقلها ، وترددت اشاعات أخرى بانها شوهدت في أماكن مختلفة في البلدة او في مدن اخرى •

(٣٨) «عودة محبوب» ، وراء السور ، ص ١١٩

(٣٩) ن•م• ، ص ١١٨

(٤٠) ن•م• ، ص ١١٩

(٤١) ن•م• ، الصفحتان ١٢٣ ـ ١٢٤

(٤٢) ن•م• ، ص ١٣٢ •

وتتكرر الاشاعات عنها عندما تزور البلدة فرقة مسرحية تشبه احدى ممثلاتها الفتاة المختفية ٠

وهكذا تكثر الاشاعات والتكهنات حتى بعد ان تترك عائلتها البلدة ، ويرافق القارىء جو من الغموض والشكوك حتى بعد ان ينتهي من قراءة القصة ، تماما كتقلب احوال أهل البلدة في القصة ٠ وتذكرنا هذه القصة باعلانات الصحف عن اختفاء شابات ، ومحاولات الشرطة والاهل تعقب آثارهن ٠

ويدخلنا النوع الثاني من القصص التي ذكرنا آنفا ، الى جو من الغموض وعدم التاكد اللذين يشدان القاريء، في بحثه عن لغز اختفاء اشياء معينة لم يستطع بطل القصة العثور عليها ٠

القصة الاولى التي تنتمي الى هذا النوع هي قصة «دار سعيد» (٤٣) ، اما القصة الثانية فهي تكرار لنفس الفكرة ، وأعني بها قصة «البحث عن لارا» (٤٤) تعتور هاتين القصتين حالة نفسية معقدة ، تشبه الايمان الديني وضياعه ٠ ونحن لا نعلم فيما اذا كان البيت في القصة الاولى ، والمرأة في القصة الثانية ، قد اختفيا فعلا، ام ان بطل القصة لا يتذكر مكان وجودهما ٠ ثمة تحليل آخر لهذا اللغز يمكن العثور عليه في القصة الاولى ، عندما يتبين لنا ان الشخص الذي يبحثون عنه ، هو باحث ينسى كل ما يحيط به عندما يجلس الى مكتبه ليعمل :

«لماذا عندما أختفي في العمل ، يختفي كل شيء حولي» (٤٥) ٠

ففي القصتين المذكورتين استاذان شاردا الذهن ٠ ينسى الاول الحضور الى موعد مقابلة لانه غرق في عمله خارج بيته ، والثاني ينسى نفسه في بحوثه في الغابات ، فتتركه زوجته الى غير رجعة لانه اهملها ٠

(٤٣) وراء السور ، الصفحات ٢١ ـ ٣٠ ٠
(٤٤) الدب القطبي ، الصفحات ١٣٩ ـ ١٥٤
(٤٥) وراء السور ، «دار سعيد» ، ص ٢٩ ٠

هذا هو العامل المشترك الخارجي في القصتين ٠ الا ان الكاتب يقول في قصة «دار سعيد» (ص ٢٧) عندما لا يجد بطل القصة الدار ، ما يلي :

> **واغمضت عيني لحظة قدمت خلالها صلاة قصيرة للقوى الجبارة التي تسير الكون وما فيه ٠ وشعرت بعدها ان نورا خفيا اخذ يضيء امامي فسرت عبر مدخل الدار ٠**

من هنا ندرك ان بيت سعيد يرمز الى الايمان الديني، فقد كان الراوي في البداية يعيش جوا من الشك والقلق ولا يعود اليه ايمانه الا بعد ان يصلي ، وحينذاك فقط ، يلمح نورا يقوده الى مدخل الدار ٠

يحتوي النوع الاخير من القصص التي ذكرتها آنفا ، على نقد للمجتمع البشري ٠ والقصة الاولى التي تنتمي لهذا النوع ، هي قصة «وراء السور» (٤٦) التي سميت بها المجموعة القصصية الاولى ، اما القصة الثانية ، فانها قصة «في الواجهة» (٤٧) ٠

نجد هنا ان الكاتب يتقمص اشياء مادية ، يصف بواسطتها تصرف شخصيات نموذجية من جميع الانواع في المجتمع البشري ، هادفا تصوير تصرفاتها بصورة موضوعية بقدر الامكان ٠

في القصة الاولى تروي حصاة ركلها أحد العمال ركلة قوية فاستقرت داخل سور احد المنازل ـ ما جرى لها في الحديقة التي استقرت فيها ٠ يستعين الكاتب بهذه الحصاة ليعطينا لمحة مثيرة عن شخصيات نموذجية بشرية ، تمر من امامها ، وعن الناس الذين يسيرون وراء السور ٠ كصاحب البيت الذي يخرج الى العمل ، والجنائني الشيخ الذي يعمل في الحديقة ، والمحادثة بينه وبين الخادمة وخوفه من الطرد اذا طالب بأجرة عمله التي يماطلونه في دفعها ، والشاب والفتاة اللذان يختفيان وراء السور ويتبادلان القبل ٠

(٤٦) م٠ن٠ ، الصفحات ١٨٧ ـ ١٩٩ ٠
(٤٧) الدب القطبي ، الصفحات ٤٣ ـ ٥٤ ٠

ثم ساعي البريد ، وبعده اللصان اللذان يقتسمان الاموال المسروقة ، ثم الشاب الذي يجيء لزيارة الخادمة ، وبعدها المحادثة الفلسفية بين عابري سبيل حول الدين واصول التعامل في المجتمع ، واخيرا هبوط الليل وعودة الخادمة الى بيتها ·

القصة الثانية من هذا النوع هي كما ذكرنا قصة «في الواجهة» · تتناول هذه القصة حكاية لنسخة من كتاب المؤلف ، والتقلبات التي مرت على هذه النسخة منذ أن عرضت للبيع في واجهة مكتبة ، بما في ذلك آراء الزبائن المختلفة حول الكتاب ، وترددهم في شرائه ، وتصرفات الناس الذين يسرقون الكتب ، مع هذه النسخة بعد قراءتها ، وظهور كتاب جديد لنفس المؤلف ، وعدم مبالاته بانتاجه السابق ·

لا مفر للانسان من هذا العالم المنافق ، المليء بالفساد ، والتآمر ، والذي يسيره الاشرار ، ويقرر القدر فيه سلفا مصير الانسان ، ويفرض على المدراء اضطهاد موظفيهم الصغار ، ويولد فيه الناس مع عاهات وحساسيات وانفصامات وعقد نفسية ·

هناك قصة وحيدة للكاتب ، يعيش فيها الناس في جو من السعادة والهناء ، في عالم يخلو من الظلم والاضطهاد ومن الكراهية والتحامل ، والاموال والمراكز · عالم لا سيطرة ولا سيادة فيه للمدراء الاشرار على موظفيهم الابرياء عالم لا آلام فيه ولا عقد نفسية ، انما عالم كله حرية وهدوء واستقرار ومحبة تخلو من الحسد ، واعني بها ، قصة «قرية الاحرار» (٤٨) · ليست هذه القرية «كيبوتس» او قرية عادية في هذا العالم ، فهي لا اكثر ولا اقل من «مقبرة» يعيش فيها الاموات احرارا بعد ان تبلى لحوم اجسادهم ويصبحون عظاما بيضاء براقة · حينذاك يتحررون كليا من غرائزهم البشرية · تصور هذه القصة سعادة سكان القبور في الآخرة · والسؤال الذي يفرضه القارىء هو ، هل ان الكاتب لا يرى احتمال توفر السعادة في عالمنا هذا ، بل يجب ان يأمل تحقيقه في العالم الآخر فقط ؟ وهو عالم يمكن تحقيقه كما يعتقد الكاتب في قصصه ذات الاحداث الخارقة للطبيعة ، فلولا هذا العالم الآخر لكانت الحياة عبثا مخيفا لا يطاق ·

يحاول بعض النقاد تفسير بعض الشخصيات النموذجية لقصص بارـموشيه ، بقولهم بان الصراع النفسي والنزاع بين هذه الشخصيات يرمز الى النزاع الاسرائيلي العربي · لا اعتقد ان هناك مجال لتحليلات وتفسيرات مجازية كهذه · كل ما في الامر أن هناك مستويين ونوعين من القصص · ففي المستوى الخارجي للقصص التي تتناول موضوع العلاقات الانسانية ، يعري الكاتب المجتمع البشري ويكشف مخازيه ، فنحس بان كثيرا من ابطال قصصه معروفين لدينا في حياتنا اليومية، بما في ذلك الحالات النفسية التي يصفها الكاتب في قصصه ، كانفصام الشخصية ، والحساسية النفسية المفرطة ، وشعور الاضطهاد ، وهوس تحقيق العدالة والبحث عن بيت ما اختفى فجأة ، او عودة انسان فلا يجد شيئا مما تركه ، او لا يجد انسانا محبوبا لديه ·

ان جميع هذه الاشياء هي بمثابة تجارب ، مر بها ومارسها أو سمع بها كل قارىء تقريبا ، اما المستوى الثاني فهو مستوى الظواهر الخارقة ، اذ ان هذا العنصر يؤكد ان الناس الى زوال في حين ان الرمز يبقى ابد الدهور ، أي ان القوى الجبارة الغامضة التي توجه الناس اعمال الناس وتصرفاتهم والتي تحدد مستقبلهم والعلاقات بينهم باقية بقاء الدهر · وهو عالم «لا معقول» عبثي وغاشم بالنسبة لاولئك الذين يؤمنون بالدنيا الآخرة ·

شموئيل موريه
١٨ـ١ـ١٩٧٥

(٤٨) **الدب القطبي** ، الصفحات ١٥٥ ـ ١٦٨ ·

عبـد الله عيشـان
التجـربـة

انني اعيش فريسة الشك والحيرة ، واشعر بقلبي يئن وروحي تتمزق ، وكنت قبل عشرة اعوام افكر انني اسعد مخلوقة على وجه الارض ، وأن زوجـي أشرف انسان ٠ وكم حسدتني صاحباتي عليه ٠ وهن يقصصن اخبار ازواجهن !

كنت معتزة فخورة به ، بزوجي الذي عرفته مثال الاخلاص والحب والوفاء ، ولكنني اليوم أشعر انه كان يخدعني طوال تلك المدة ٠ لقد اكتشفت ان تصرفاتـه مغلفة باللطف الكاذب والحب الخادع ٠ كان يوهمني انه يحبني ، وانني ضالته المنشودة التي التقى بها ٠ وصدقت ما يقول ٠ لم اكن لانكر عليه خداعه وغشه ٠

واتضح لي كل شيء ، وذلك بعد ان تسلـم ادارة المصنع الذي يعمل فيه ٠ وزاد عدد العاملين ، وصارت له كاتبة تعاونه ، وسيارة تنقله من البيت الى العمل ، وفي مكتبه تلفون يسهل له سبل الاتصال وهو قابع في مكانه ٠ كل هذه الاشياء جعلته انسانا آخر ٠ واتسمت تصرفاته بالغموض ، واخذ يشرد فكره ويلوذ بالصمت كثيرا ، وهو الذي لم يكن ليكف له لسان عن الحديث والتفكه !!

وسألت نفسي ، ما هذا التغيير الذي طرأ في حياته كنت افكر اول الامر ان عمله يفرض عليه ذلك ، وان واجبه يملي عليه هذا السلوك الجديد ! ولكن الايام هي التي خيبت ظني ، وجعلتني أشقى امرأة تعيش ، وان الايام الحلوة التي مرت لن تعود !!

كان بيتنا في حيفا يطل على الميناء ، وكنت اثناء غيابه ألهو وأشغل نفسي بالوقوف على الشرفة ، ويســرح نظري الى اليمين والى الشمال ، واشاهد السفن والبواخر الراسية فيها ، كأنها الجبال ، وثم القادمة والمقلعـة ! وكانت قوافل السيارات والحركة الدائبة في شــوارع المدينة ، تشغلني وتثير تفكيري وتأملي ٠٠ ويمضـي الوقت بدون ملل ٠ ويرجع أمين من عمله في وقت العصر فيجدني في انتظاره ، واستقبله بابتسامة عريضة ، وكان حبي انذاك يزداد اتقادا وجذوة !!

كنا نعيش كأسعد زوجين ، ونقضي الوقت معا ، كنت ارافقه الى دور السينما ونتجول في الشوارع ونقف امام واجهات الحوانيت متأبطة ذراعه ، لم يتطرق الملل لنفسي ، كانت حياتي عامرة به ، وملأى بالدفء والحب!

وليت الحالة دامت كما كانت عليه ، فقد تغير كل شيء ، راح أمين يتأخر في الرجوع الى البيت ، حتـى ساعة متأخرة ليلا ، وكان ينتحل الاعذار ويدعـي ان العمل يتطلب تأخره ، وكان يتركني في المساء وحدي ، وان لم ينس الاتصال بي ، هاتفيا ليقول :

ــ أنني سأتأخر هذه الليلة يا منى !!

كان يتأخر عن الرجوع مرة في الاسبوع ، ثم مرتين ، وكان يخبرني مسبقا بالامر ، ثم راح يتأخر اكثر ايـام الاسبوع بل كلها ، ولم يخبرني بذلك ، فلقد افترض ان لا حاجة بالاخبار المسبق أو القلق ! كان يقول لي عندما يقرأ في عيني كلمات العتاب والاستفسار :

ــ ان عمله يضطره ان يزور اصدقاءه بعد ساعات العمل ، ويبقى على مودتهم ، وأن يكسب مودة الاخرين وان يجاريهم في تصرفاتهم ، ويشاركهم امسياتهم !

وشعرت بالقلق يضايقني ، ودب اليأس في نفسي وسمعت البرودة تتسرب الى جوانب قلبي ، ولم اكن اعرف كيف ادفعها جميعا ، وكأن الاطفال سلوتي وعزائي في تلك الظروف العصيبة !!

وصرت اشعر انني منبوذة تائهة في حياته ، لم يعد يكترث بي ولا يعيرني اهتماما ، حتى بعد رجوعه ، كنت انتظره ، ويدخل البيت ، ويتجاهلني على الرغم من صامتا ، لم اعد ابتسامته تثير شيئا او احساسا عندي ، بل تزيدني قلقا وهما ! وقد يضع رأسه بين يديه ، او يأوي الى الفراش .. كان يعود الي بجسده لا بروحه وقلبه .

واتصلت به في الصباح ذات صباح ، ليتأكل عادل الى عيادة الطبيب بسيارته ، ولم اجده في المكتب ، وما كانت حالة ابني تشعر للقلق سألت عنه اين يكون ؟! فاجابني صوت احد العمال ، انه لا يدري وان الكاتبة غير موجودة لسالها ، فهي ايضا غائبة !!

وتفشى الشك في صدري ، واستقرت في مكاني مذهولة مشعورة ، ونسيت قلقة كبدي وابني ، وما يعانيه من الحمى ، وشعرت لاول مرة بالغيرة تنهش قلبي ، لم استطع تحمل امر غيابهما معا !! ورحت اتصوره يختلي بها في غرفة منعزلة في احد احياء المدينة ، يبثها حبه ، ويهمس في اذنيها بكلمات الشوق الملتهب !!

... وسألت نفسي ، لعلها تكون تلك المرأة اجمل مني ، او اكثر انوثة وشبابا ، وأبى كبريائي ان يعترف لها بفضل ، ولطالما قال لي امين :

ـ انك يا مني اجمل انسانة ولدتها امرأة !!

فهل يا ترى كان يسخر مني ؟! او يخدعني ؟! فلربما كان يظنني طفلة ترضيها الابتسامة والهدية المتواضعة ، ويخدعها الثناء والمديح !!

وانتظرته حتى عاد في الليل ، وثرت في وجهه ثائرة :

لقد خدعتني منذ مدة طويلة ، خنتني مع امرأة اخرى ، وكنت توهمني انك محب ومخلص ، وان عملك يتطلب غيابك عن البيت ، وانت تعيش معها بقلبك وروحك !!

ـ وانكر انه غاب لحظة عن المكتب ، ثم وضع رأسه بين يديه ، وانا ارغي وازبد ، وشعرت ان كابوسا كاد يقتلني ، ثم هدأت ثورتي ، وانهمرت الدموع من عيني ، ولم اعد ادري اين انا وماذا افعل !!

ومع توالي الايام زادت هواجسي وشكوكي ، واتقلب شكي يقينا ، وكنت ارفع سماعة التلفون لاسمع صوتا ينقل الي اخبار المكتب ، واشعر بالالم يعصر قلبي ، وان العاصفة تهز كياني وتكاد تقتلعني !

وفكرت ان اترك البيت لهما ، والانسحاب من المعركة ، ولكن التفكير في مستقبل الاطفال الابرياء منعني ، ان امومتي تابى علي هذا التصرف ، واذا تركت البيت فالى اين اذهب ؟! اذهب الى بيت والدي او بيت اخي !! وكيف ذلك ؟! فانا بنفسي اخترت امينا شريك العمر ، ورفيق الدرب ، فماذا اقول لهما ؟! لا ، لن اترك البيت

وساقني تفكيري الى نتيجة ظننتها يقينا ، انني لست المرأة التي يستحقها ! وشريكة الحياة التي يرضاها ، لمركزه الاجتماعي اليوم غيره بالامس ، والمفاهيم عنده عن الجمال والانوثة هي غيرها بالامس ! والقد تلفت الخامسة والثلاثين من العمر بينما هي لا تتجاوز العشرين ربيعا !!

وسألت نفسي ، ماذا لا اثبت له انني لازلت جميلة ومرموقة ! وانني اثير اعجاب الرجال ايضا حتى ولو كنت ، واهتمام الراغبين وتطلعاتهم ؟! وفكرت ان افعل ذلك ، وان لم يكن لي سابق عهد بمثل هذه الوقائع !!

وكان يتردد على بيتنا صديق لامين، هو زوج صديقتي وفكرت ان اقوم بالتجربة ، واثير اعجابه واهتمامه وانتباهه ، ورأيت نظراتي ترصده ، وصرت اراقب واشاغله كثيرا ، واظهر له اهتمامي به ، وبحركاته وسكناته ، كان هدفي اثارة اهتمامه فقط ، لم اكن اقصد اكثر من ذلك ، كنت افكر انني سأثير بذلك غيرة امين على زوجته ، ولسوف يرجع بعدها لي ، وساغفر له كل شيء ، اغفر له نزوته وجنوحه .

وكان سعيد فطنا لما يدور في رأسي ، وراح يترصدني بنظراته ، وزارنا ذات يوم بدون زوجته ، ولم يجد امينا في المنزل ، وكأنه تعمد ذلك ، وخجلت من نفسي ، وكانت الدار لا تسعني ولم اكن افكر ان التجربة ستعرضني الى مواقف مخلية ، وحاول اغوائي ، ولطفت لرغبته وابت نفسي وشرفي ان انصاع لندائه ، وحاولت ان افهمه انني امرأة شريفة ، وانما احاول ان اعيد الى عش الزوجية رجلا نزا قلبه ، انني لا ابحث عن المتعة العابرة !

ولكن الرغبة الجامحة في نفسه ، كانت تدفعه الى طريق الاساءة والغدر ، وابتعدت عنه عندما اقترب مني وقلتها عندئذ صريحة :

ـ لا يا سعيد ، انا امرأة فاضلة ، ولا انسى انك صديق زوجي ؟! وزوج صديقتي !!

فقال مستهزئا : جميع بنات حواء يزعمن انهن فاضلات !!

وهربت من امامه ، ولحقني ، وحاول ان يقترب مني ، ويمسك بي ، لكنني دفعته ، وشعرت انني مخلوقة ضعيفة ، وان حواء مهما اوتيت من قوة وعقل ، انها عاجزة ، واحسست انني بحاجة الى امين ليقف بجانبي وشعرت ان شيئا قويا يعصر قلبي ، وان كياني يهتز له ، ثم وجدت نفسي تقول :

ـ اذا كنت لا تحافظ على الصداقة فترجع غدا ، انني اخشى ان يرجع امين الان من عمله !!

وصعق الرجل في مكانه عندما سمع عن رجوع امين ، ولكنه قال :

ـ انا اعرفه لا يعود الا ليلا ، والساعة الان الثانية بعد الظهر .

ـ انتظر اذن لتشرب القهوة !!

وعاد سعيد الى المقعد ، والفرحة تتشوق والرغبة تلح ، وتشاغلت بتحضير القهوة ، ولم تمض دقائق معدودة حتى فتح الباب ، ودخل امين لقد اتصلت به واخبرته ان يحضر ، فالخطر يهدد البيت ! .

وانكر امين وجود سعيد في بيته في مثل هذا الوقت ، وبدون زوجته ، وتلقى الصدمة في صمت ، ولم يحر جوابا ، بل جلس في كرسيه ، وتناول لفافة تبغ واشعلها وراح ينفث الدخان عاليا وبعصبية ، ولم تمض دقائق حتى خرج سعيد يجر وراءه ذيول الخيبة والخيانة !!

وارتميت في احضان امين واجهشت في البكاء ، وانهمرت الدموع من عيني ، ثم شعرت انني قد افقت من حلم مخيف ، بل كابوس ثقيل ، والاحساس بالندم يعصر قلبي ، على هذه اللعبة ، والتجربة التي مررت بها وكدت اخسر المعركة ، واحسست ان امين الرجل ، يبكي وان الدموع تسح على وجنتيه وسمعته يهمس في اذني :

ـ انها نزوة يا مني ، ولن تعود ابدا !

وعادت حياتنا الى مجراها الطبيعي ، وشعرت انني اسعد زوجة ، وان امين الزوج المحب الوفي ، وان حبنا راح ينمو ويكبر من جديد !!

رياض حسين علي

الـزورق الفضـي

وانظر اليه كزورق من فضة
قد اثقلته حمولة من عنبر[1]

قائله شاعر معروف ، واعني من امراء الدولة العباسية ، انه الخليفة عبد الله بن المعتز ، والموصوف هلال بدا في السماء الزبرجدية ، هذه السماء التي اسرت لب ابن المعتز ، بقدر ما اتاح بتفسح خضل اداه ...

ليس الهلال يعنيني في شيء ، لا ولا الموصوف فيه ، وانما طريقة الوصف التي توحي لنا باشياء كثيرة فيه نتذكرها في فترات متباعدة .

يقولون بان ابن المعتز يعكس في شعر كهذا مظاهر الترف التي كانت تعيشه كامير وابن امير ، ويقولون انه يعكس في شعره حياة عصره المليئة بالرخاء والنعيم ..

هم صادقون .. وهؤلاء لا يخطئون ، ان كان للشاعر ابيات كهذه في ديوانه الشعري ..

في الحقيقة هي كثيرة فها هو يقول في الهلال :

كمنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجى نرجسا[2]

ويقـول :

وكان الهلال نصف سوار ...[3]

كلام جميل .. بل رائع جدا ..

لكن زورقنا لا حقيقة له ، ومنجلنا يشكو غربته باكتئاب وأسى ، انه وصف الخيال ونسجه لا وصف حقيقي وواقعي .. انها اذا صورة وهمية .. انها حقيقة متوهمة لا تمت الى الواقع بصلة .

ومن اعتدنا لوصف كهذا ؟ ..

كلا ، فالوصف في الجاهلية يختلف ، وفي العصر الاموي له وجه آخر ..

في الجاهلية كان لا يتم عن الآثار الوجدانية التي تبعثها الموصوفات وانما ، حرصا على ابراز الخصائص الشخصية للشاعر ، جريا على نمط تقليدي راسخ ، او رغبة في الشيء الموصوف بالذات[4] .

وفي الاموية كانت مهمة الشاعر في الوصف عرض التأملات التي يثيرها الشيء في تفكيره ، لا ان يرسم الموصوف على حالته الاصلية ، وقد يأتي الوصف في كلا العصرين من صنع الخيال .. فقد تتزعزع الجبال ، وتبكي الدنيا باسرها ، وتغور النجوم من مواقعها ، فهل هذه الا حقيقة متوهمة على هذه صورة وهمية لا تمت الى الواقع بصلة ؟ ..

قد اوافق على انها من صنع الخيال ، ومع ذلك لا اوافق ان تكون صورة وهمية متوهمة بما يأتيه قد نبعت من اعماق قلب صاحبها .. ما دام لها صلة بشاعر قائلها .. واذا كانت كذلك فكم هي شبيهة بالشعر الاوروبي الحديث الذي يتناول الاشياء بعاطفة الرغبة الصادقة في الولاء بحق الموصوف ، وعرض التأملات التي تثيرها هذه الموصوفات في تفكير قائلها ..

لكن زورق ابن المعتز الفضي لا صلة له بالمشاعر والاحاسيس ، لان صاحبه قد جاء الى الدنيا وقد رأى من قبله ، كالبحتري وابي تمام ، قد شيدوا هيكلا ضخما للقصيد ، فلم يجد ما يفعله سوى ان يزخرف هذا الشعر ويزينه ، وهكذا ، فان ابن المعتز قد موهه بالذهب ، ورصعه بالدرر واشباه باللؤلؤ الوهاج .

ولم يغفل النقاد عنه ، ولم يغفروا له زلته هذه وعليه فقد الاق بعض من السمات في هذا الزورق الفضي المحمل بالعنبر ، فهو حين يشبه الهلال بزورق من فضة لا يريد الى ان يعطيك نسخة من صورة الهلال ، ويكفي ان تتصور الهلال في خيالك ثم تتصور بجانبه زورق ابن المعتز لتدرك الفارق الكبير وتعلم مقدار ما شوه ابن المعتز من منظر الهلال الجميل[5] .

وليذا ، وبعد كل هذا الزخرف جاء الهلال وهو يخلو من الحياة والحركة بعد ان شوهه ابن المعتز ..

غير ان الفارقين في السمات دافعوا عن الشاعر دفاعا شديدا حتى في القرن العشرين ، فها هو يبد الموخاجي نفسه يقول :

«لقد اعجب اعلام الادب الفرنسي بتشبيه الدكتور موبيو للهلال بمنجل من ذهب ، فكيف يقولون لو علموا بما اتى به ابن المعتز»[6] .

وكما يتضح للعيان فان دفاع خفاجي ضعيف لانه غير مرتكز على اسس نقدية منهجية لا يتفق عليها فليس ما يعجب اعلام الادب الفرنسي هو الخالد والكمال عند اعلام الادب في سائر المعمورة .

ان ابن المعتز لم يهدف ابدا بوصفه هذا ان يظهر قيمة الموصوف الذاتية والجمالية ، ولم يرتبط وصفه للهلال بعينه من شعوره واحساسه الدافق ، وانما كان هدفه ان يعرض هذا الهلال حتى يشد الناس بزخرفته وزينته ، ويسحرهم بتفنيه .. فالصورة وهمية وهذا ما يختلف عن اسلوب الشعر الغربي الحديث ، او حتى عن الاسلوب الاموي في الوصف وتناول الاشياء .

في هذه الذروة بالذات بدأت شمس شعرة العربي تضمحل وتميل الى الغروب ، واصبحت «عقلية المعاني» تعني اللجوء الى الخيال .. الى الاوهام التي لا تتصل بالحياة والشعور ، هنا بدأت الطامة الكبرى .. وبدأت رحلة الزورق الفضي في عالم السحر والخيال ، وبسببها السمات التي استمر الى عصرنا الحديث .

بل هنالك من يرى في غموض ابي تمام ، وعقلانية المعاني عنده اشارة لساعة الغروب ، فغموضه كان يعني رغبة عبقريته الفذة في التجديد ، وما عجز عن التجديد ، ولم يعرف ماذا يجدد لجأ الى الغموض والى عقلانية المعاني .. الى الوهم وزرع المعاني في عالم الخيال والاوهام .

يقول فون غرينباوم :

«ان هذا السياق في بناء جو خيالي حول الحقيقة قد اوحى شعرا كثيرا بارز المحاسن ، كما انه لا ينكر ان هذه الطريقة في تحسس الموصوف قد غشت مع مرور الوقت اكثر من اي عامل آخر على صرف الشعر العربي عن مجرى الحياة ، او اقصائه عن الحقيقة الموضعية ، وتحميده عند مرحلة غدا فيها تنسيق الكلام هو المقياس الرموزي ..» و : «هكذا يكتفي الموصوف الى ما لا يزيد كثيرا عن ذريعة يتذرع بها الشاعر لعرض تخيلاته الفنية وقدرته على اخراج العناصر الوضعية في ثوب اقرب الى الخيال ..»[7]

واذا كان الامر كذلك ، فلا بأس من اولئك الذين يعظون في ثوم غسيل ، فانهم قد تعودوا على الظلام والسبات .. فالزمن كان طويلا ، بل طويلا جدا ، من عصر عاش فيه عبد الله بن المعتز الى عصر يومنا العزيز .

1 ـ ابن المعتز عبد الله : الديوان . بيروت سنة ١٩٦١م/١٣٨١هـ ، ص ٢٤٧ .
2 ـ الديوان ، ص ٢٤٨ .
3 ـ الديوان ، ص ٤٧٦ .
4 ـ فون غرينباوم : دراسات في الادب العربي . بيروت ١٩٥٩ ، ص ٢٦٠ .
5 ـ خفاجي محمد عبد المنعم : ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان . القاهرة سنة ١٩٤٩ ، ص ٦٠٩ .
6 ـ نفسه ، ص ٦٠٩ .
7 ـ دراسات في الادب العربي ، ص ١٦٦ .
8 ـ نفسه ، ص ١٧٧ .

فخــري صالح

ابو العلاء المعـري فيلسوفاً ومفكراً

عندما يقف العقل أمام ما قدمه أبو العلاء من نتاج أدبي وفكرى عظيم يشعر بالهيبة والرهبة من أن يقحم نفسه على ذلك المفكر العظيم ويفسد عليه آراءه بتحليله وتفسيره ‥ ولكن الى جانب الهيبة يشعـــر الباحث بالاحترام والاجلال لذلك المفكر العظيم الــذي عـاش طيلة حياته للبحث الصادق والنفاذ الى اعماق الحياة ٠

كان أبو العلاء يشعر أنه لا يجد صدى في نفوس عامة الناس بل انه يولد السخط والتبرم ويبعث على عدم الرضى لديهم ٠ وكان يعرف كل المعـرفـة أن لا كرامة لنبي في وطنه وأنه مادام العقل رائده فلن يلاقي الا السخط والتبرم من أهل عصره ٠

اولو الفضل في أوطانهم غرباء
تشذ وتنأى عنهـم القرباء

ولكن هذا لم يقفه في طريقه ولم يؤثر على مسيرته الا أقل القليل ، وان أخذ بمبدأ التقية الفكرية في بعض الاحيان ، وظل طيلة حياته لا يؤمن الا بالعقل وحده ٠

ولكن هل يجوز لنا أن ننعت ابا العلاء بالفيلسوف ؟ وهذا يدفعنا الى تساؤل آخر ‥ فهل كان لابي العــلاء مذهب معين ومتكامل في الفلسفة ، أم أن فلسفته كانت مجرد خطوات واعية للحياة والوجود ؟ ان الفلسفـــة التي تستحق أن تنعت بالفلسفة هي ذلك البحث الفكرى الذي يبحث في طبائع الاشياء ويعلل المشاكل الانسانية ويأتي بحلول لها ٠ أما فلسفة أبي العلاء فلم تكن تقدم حلولا وانما تقدم تساؤلات لا حل لها ، فطابع الشك يغلب عليها ولكنها لا تؤدي الى اي نوع من اليقين ٠ ولكننا رغم هذا ننعت اباالعلاء بالمفكر وننعته على سبيل التجوز بالفيلسوف لعمق نظرته ونفاذها في أغـــوار الوجود كما نعته عمر فروخ في كتابه «تاريخ الفكـــر العربي الى ايام ابن خلدون» على سبيل التجوز أيضا٠ وسبب آخر لنعتنا أياه بالفيلسوف وهو تقديسه للعقل وعدم اتخاذه الا أياه حكما ٠ فقد كان أبو العلاء يقدس العقل ولا يعترف الا به ، وكانت له آراء ثائرة عـلى التقليد والتبعية ، وكان شعره مليئا بالخطوات الواعية التي تتخذ العقل مقياسا والفكر المتعمق طريقا للمعرفة الصحيحة ٠ يقول في لزومياته :ـ

كذب الظن لا أمام سوى العقـ
ـل مشـيرا في صبحـــه والمســـاء

ويقول في أخرى :ـ

ايها الغر ان خصصت بعقل
فاسألنه فكـل عقل نبــي

ويقول ايضا :ـ

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة
اذا لم يؤيد ما أتوك به العقــل

فنعيه على التقليد وازدراؤه له كان ثورة على النقــل ودعوة الى اقامة دولة العقل ٠ فهذا دفعه الى كره الحياة والشك في جدواها ، وأساء ظنه بالناس ، وأساء ظنه بنفسه ، لانه لم يجد من يقدس العقل ولم يجــد الا التقليد والتبعية ، ووجد التنافس والتحاسد بـــين الناس قائما على امور الحياة الرخيصة ، فنفض يديه من دنيا الناس وأقام في بيته رهين محبسيه منتقـــدا لمجتمعه ثائرا عليه في عزلته ٠ ويدعون أن أبا العلاء لهذا كان يكره الناس كرها شديدا ولكننا نرى غير ذلك ٠

فابو العلاء لم يكره الناس بل أحبهم حبا شديدا وتمنى لهم الخير · فثورته عليهم كانت انتقاضا على عالم التقليد والظلم والتباغض ودعوة الى حياة رحيمة بالانسان والحيوان ·· ولكنها كانت ثورة خيرة تدفعها بواعث الخير وتغذيها طيبة النفس · يقول في لزومياته :ـ

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما أعدتني الثؤباء

وهذا مما كان ينتفض له أبو العلاء ذعرا · لقد كان التقليد عدوا لابي العلاء لدودا وكانت التبعية الفكرية عالة على الفكر والادب لديه · فكان يناصب التقليد العداء وكان يظن بالناس جميعا الشر لهذا ، حتى ان سوء الظن بلغ به حدا أساء الظن بنفسه ·

بني الدهر مهلا ان ذممت فعالكم
فاني بنفسي لا محالة ابدا

وسوء ظنه بالناس وبنفسه كان عظيما ، فلم يكن يرى في البشرية منذ بدء الحياة الا الفساد والشر :ـ

وجبلة الناس الفساد وضل من
يسمو بحكمته الى تهذيبها

وهو متاثر بهذا بالفلسفة الصينية القديمة التي لا ترى الا الطبيعة الفاسدة في النفس البشرية ·

عرفت سجايا الدهر أما شروره
فنقد واما خيره فوعود

فكانت سوداويته علما على فكره وفلسفته ، وكان مزاجه السوداوي منطلقا تنطلق منه أفكاره وتصدر عنه آراؤه ، فلم يكن يرى من الحياة الا جانبها الاسود القاتم ·· وهذا دفع به الى الشك ثم الى اللا أدرية ·· وقلنا في بدء المقال ان أبا العلاء لم تكن له فلسفة تقدم الحلول للمشاكل الانسانية وخير دليل على ذلك قوله :ـ

أما اليقين فلا يقين وانما
أقصى اجتهادي ان اظن واحدسا

وقول في مكان آخر :ـ

سألتموني فاعيتني اجابتكم
من أدعى أنه دار فقد كذبا

ونحن نظن أن ما دفعه الى لزوم داره في معرة النعمان وعدم خروجه منها كان سببا أكبر من عماه وازدراء الناس لفكره ، وهو أنه كان يريد أن يقطع أسبابه بحياتهم ، فيعتزلهم حتى يأتيه القدر فيريحه من دنس الحياة ·

اراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن النبأ النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسد الخبيث

وهو متاثر بتقديسه للنفس بفلسفة البراهمة الهنود، ولذلك فهو يحتقر الجسد ويعتبره دنسا ويتمنى الفناء وعدم العودة الى هذا الجسد كما يفعل البرهميون الهنود عندما يسعون للوصول الى النيرفانا أو مرحلة الفناء والاتحاد بالله ·

ولكن أبا العلاء رغم كرهه للحياة كان يرى ديناميكيتها وتجددها في تخالف البشر وتسابقهم على ملاذها :ـ

لولا التخالف لم تركض لغارتها
خيل ولم تقن أرماح وأسياف

ورغم احترام ابي العلاء للعقل وتقديسه له فانه اتخذ التقية الفكرية مبدأ ·

اذا قلت المحال رفعت صوتي
وان قلت اليقين أطلت همسي

والسبب في هذا أحوال المجتمع وعدم احترام الناس لحرية الرأي والفكر في عصره ، فقد كان كل من يرى رأيا جديدا ـ صائبا كان أو غير صائب ـ يعتبر زنديقا وخارجا على الدين · وكان أبو العلاء لا يأكل اللحوم وما ينتج من الحيوان ، فكان نباتيا لا يأكل الا النبات : فهل كان لا يأكل اللحم لفقره وعوزه ؟

يرى العقاد ان سبب تحريم أبي العلاء اللحوم على نفسه كان لمزاجه السوداوي ، فكان به ميل الى تعذيب النفس كما هو شان بعض أصحاب الامراض العصبية ، وكان متأثرا بمذاهب البراهمة الهنود ·· وقد يكون هذا ، ونضيف الى ذلك شيئا اخر وهو الرحمة التي اتصف بها أبو العلاء ، فقد كان ذا أنسانية مفرطة ورحمة بلغت أقصى الدرجات وأبعدها مدى ·

فلا تأكلن ما أخرج البحر ظالما
ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
ولا بيض امات أرادت صريحة
لاطفالها دون الغواني الصرائح

ونحن نرى في شعره خطوات في الاشتراكية ، وان كانت مجرد خطوات لا تسمح بالقول بأنه كان في احساسه وشعوره اشتراكيا بحتا ·

ان شقا يلوح في باطن الرة
قسم بيني وبين الضعيف

أما العقاد فيرى أن أبا العلاء كان يؤمن باشتراكية النساء وهذا ما لا نعترف به ، لان أبا العلاء نفسه قد صرح بنقيض هذا :ـ

شر النساء مشاعات غدون سدى

وقلبه ! ·

كالارض يحمان أولادا مشاعينا

وليس أدل على رأينا من بيته هذا ·

كما يرى العقاد أن أبا العلاء كان نشوئيا سبق النشوئيين المعاصرين ومؤمنا بتنازع البقاء مستدلا على هذا بنماذج من شعره · وما يعده العقاد سبقا لابي العلاء في هذا لا نعده نحن كذلك ، لامور عديدة · اولها أن فكرة النشوء والارتقاء ليست جديدة بل قديمة قدم الفلسفة اليونانية · فقد قال بها الفيلسوف اليوناني انكسمندوراس الملطي ، وثانيها أن أبا العلاء كما نرى من شعره لم يطرق فكرة النشوء والارتقاء ، واستدلال العقاد بكثرة تعميمه الحكم على الانسان والحيوان تدليل واه وحجة غير قوية · وثالثها أن أبا العلاء وان كان في شعره أفكار في تنازع البقاء ، فنحن لا نعد ذلك سبقا له في هذا الميدان لانه لم يبن نظرية ولم يتخذ ذلك مذهبا وانما كان ذلك فكرة آمن بها ولم يتعد ذلك شيئا من ذات نفسه ابعد من هذا ·

أما جبريته وهي الحبة الاخيرة في عقد فلسفته ، فنحن نرى أنها كانت رد فعل لايمانه الشديد بالعقل ، فلما رأى أ نالعقل عاجز عن تفسير الكثير من الظواهر والاشياء ، وخصوصا أمور ما وراء الطبيعة دفعه ذلك الى نوع من الهزيمة الفكرية ·· فأصبح يرى أن العقل مجبر ومسير ليس له خيار فيما يأتيه على الرغم من تقديسه للعقل وكرهه الشديد للنقل ·

وجبريته دفعته الى عدم أيمان بالاصلاح ، فأصبح يرى الاصلاح عملية غير مجدية وعملا غير واع ويرى أنه لن تقف السيل المندفع صخرة صغيرة في طريقه ·· وهكذا أملى رسالة الغفران ساخرا من النقد الاصلاحي للادباء والشعراء وكارها لهذا النهج في النقد الادبي ·· فكانت رسالة الغفران متنفسا للكبت الذي عاناه ، فعبر عنه ذلك التعبير الساخر ·

فخري صالح / جنين

مسـرد السنـة الـرابعـة

حـزيـران ٧٣ ـ ايـــار ٧٤

الشعـــــراء

الشعـــراء (تـابـع)

مسـرد السنـــة الخـامســة

حزيران ٧٤ ـ ايار ٧٥

الشعــــراء

الشاعر	القصيدة	العدد	الصفحة
(أ)			
احمد عارف			
	طوحي	٥ ـ ٧	٢٩
	في الداخل	٥ ـ ٧	٢٩
	اشربوا	٥ ـ ٧	٢٨
ادمون شحادة			
	ثلاث صرخات لعراف مجهول	٥ ـ ٧	٦٦
اراغـون			
	اغنية ثانية لا حب فيها	٥ ـ ٧	٥٢
	الاليـاذة	٥ ـ ٧	٥٢
	القلب المثلوج	٥ ـ ٧	٥٢
اكتاي رفعت			
	المرأة والطفل	٥ ـ ٧	٢٦
	البـاب	٥ ـ ٧	٢٧
الفرد دي موسيه			
	ليلة آب	٥ ـ ٧	٦٨
انطون شماس			
	جمال جمالك	٨ ـ ١٠	٦١
انور حافظ هلال			
	دعني اتالـق	٥ ـ ٧	٦٠
	صورة للذكرى	٥ ـ ٧	٦٠
	اتشبث بك	٥ ـ ٧	٦١
اهارون امـير			
	امـس	٨ ـ ١٠	٥٥
	ابنـائي	٨ ـ ١٠	٥٥
اورهان الباير			
	المهـرج	٥ ـ ٧	٢٧
	الخط المستقيم	٥ ـ ٧	٢٧
	امـلاء	٥ ـ ٧	٢٧
	دمـاؤنـا	٥ ـ ٧	٢٧
(ج)			
جميل ارشيد			
	ما بعد التجاوز	٨ ـ ١٠	٧٢

الشاعر	القصيدة	العدد	الصفحة
(ح)			
حميد سعيد			
	ماريا التي لا تتعب	٥ ـ ٧	٤٢
(ر)			
رامبـو			
	رومـــان	٥ ـ ٧	٥٩
رسول حمزتوف			
	ثمانيات	٥ ـ ٧	٦٠
رفيق درباش			
	شجرة الحقد والضجر	٥ ـ ٧	٢٥
(س)			
سان جون پرس			
	صداقة الامير	٨ ـ ١٠	٤٥
سعيد زيداني			
	قبل الاوان	٥ ـ ٧	٥٦
(ط)			
طرغوت اويـار			
	مناجاة	٥ ـ ٧	٢٨
طورغـاي جونيتش			
	يوم الحريق	٥ ـ ٧	٣١
	كلمة في معجم	٥ ـ ٧	٣٢
(ع)			
عبد الوهاب البياتي			
	قمر شيراز	٥ ـ ٧	٥٠
	قصائد عن الفراق والموت	٥ ـ ٧	٥١
	قراءة في كتاب الطواسين	٨ ـ ١٠	٢٤

الكـاتـب	القصة	العـدد	الصفحة
(ف)			
فؤاد رفقة			
	بلا حدود الحنين	٨ ـ ١٠	٢٦
(م)			
محمد حمزة غنايم			
	قلب لزرقاء اليمامة	٨ ـ ١٠	٧٦
محمد عفيفي مطر			
	بركة الاقامة	٨ ـ ١٠	٥٨

الكـاتـب	القصة	العـدد	الصفحة
ميشيل حداد			
	كثيرة الواحنا السوداء	٥ ـ ٧	٣٩
	حوار يائس	٥ ـ ٧	٤١
	اول المجانب	٥ ـ ٧	٤١
(ن)			
ناظم حكمت			
	جـــواب	٥ ـ ٧	٣٣
	مثل كرم	٥ ـ ٧	٢٤
	عندما يكون الموت موضوع حديث	٥ ـ ٧	٢٤

القصـاصـــون والمســرحيـــون

الكـاتـب	القصة / المسرحية	العـدد	الصفحة
(أ)			
ا. ب. يهوشواع			
	ازاء الغابات (مختارات)	١١ ـ ١٢	٧
اسحاق بار ـ موشيه			
	المسدس	٥ ـ ٧	٣٣
	مكتب الاستاذ انور	٨ ـ ١٠	٤٧
الكسندر سولجنتسين			
	اليد اليمنى	٥ ـ ٧	٤٣
(ج)			
جمال قعوار			
	كروم الدوالي (مغناة)	١١ ـ ١٢	١٥
(د)			
دان تسلكا			
	شجرة الياسون	٥ ـ ٧	٧
(س)			
سامية عطـا			
	المعبد الصامت وصدى الجدران	٨ ـ ١٠	٥٩
سلفـان بيمبا			
	الغرفة المظلمة	٨ ـ ١٠	٣٧
سوزان بـرو			
	شاي باللباس الخمري	٨ ـ ١٠	٦٦

الكـاتـب	القصة / المسرحية	العـدد	الصفحة
(ع)			
عبد الاله الرجيل			
	محاولة للاقتراب من امرأة ورجل	٥ ـ ٧	٧٢
عبد الله عيشان			
	الباب المفتوح	٥ ـ ٧	٦٢
	التجربـــة	١١ ـ ١٢	٥٩
عزيز نيسـين			
	زوجتي على حق	٨ ـ ١٠	٦٣
(ك)			
كا. تستنيك			
	كوكب الرماد (مختارات)	٨ ـ ١٠	٨٦
كـافكـا			
	مخطوطة قديمة	٥ ـ ٧	٧٣
(م)			
محمد علي ابو ريا			
	الحب .. يصلب .. يصلب	٥ ـ ٧	٥٣
	كان من المفروض ان تكون قصة	١١ ـ ١٢	٣٤
محمد علي اسدي			
	في انتظار القطار	٥ ـ ٧	٧٤
(ي)			
يورام كنيوك			
	حياة كلارا شياطو الحلوة	٨ ـ ١٠	٧

كتاب المقالة والنقد

الثمن : ٤ ل . م .